جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدّراسات العليا

التضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

إعداد
منار نايف مصطفى بلبيسي

إشراف
د. مأمون مباركة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،
من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.

2024

التضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

إِعداد

منار نايف مصطفى بلبيسي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2024/08/19، وأجيزت:

د. مأمون مباركة	
المشرف الرئيسي	**التوقيع**
أ. د. عبد الرؤوف خريوش	
الممتحن الخارجي	**التوقيع**
أ. د. أحمد حامد	
الممتحن الداخلي	**التوقيع**

الإهداء

إلى أبي، الّذي ما زال يمهّد لي وعورة الطّريق، ويليّن صلبها بفيض عطائه ووفير حبّه..

إلى أمّي الحنون، الّتي ما برِحت ترويني بنبع عطفها، مخفّفةً مرشدة، وتسيّرني بتسديد دعائها..

إلى عمّتي، أمّي إلى جانب أمّي، الّتي أنارت عتمة سبلي، بجزيل فضلها ونفيس كرمها..

إلى إخوتي، ملاذي الّذي يلفّني عناية وحرصا، ويبذل لهدفي كما أبذل، بل أكثر..

إلى صديقاتي، اللّاتي كنّ عونا ومقوّما في هذا الدّرب، فبِتْنَ أخواتي من غير أمّي..

إلى ملتقى القرآن الكريم، ملجئي الآمن، وسَعة أيّامي، أدامه الله جنّة للنّجاح!

إلى أهل الكرامة، ومعلّمي الصّمود، الّذين ترجموا معاني الصّبر والإيمان واقعا، وامتطوا صهوة المجد والعلياء، أبناء غزّة الإباء.. أسأل الله أن يفرّج كربهم ويؤتيهم خيرا ممّا أُخذ منهم!

الشكر والتقدير

أمّا قبل، فالحمد لله ربّ العالمين، إذ أنعم عليّ بإتمام هذه المسيرة، كما عوّدني من قبلُ، وهو –سبحانه– المكرِم المتفضّل!

ثمّ الشّكر الجزيل لأساتذتي الكرام في قسم اللّغة العربيّة، على ما بذلوه من جهود في نفعنـــا وتعليمنـــا، وأخصّ مشرفي ومعلّمي الدّكتور الفاضل، مأمون مباركة؛ إذ تفضّل بالإشراف على هـــذه الأطروحـــة، وجاد عليّ بدقّة ملاحظاته.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

التضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: منار نائف مصطفى نايف

التوقيع: منار نائف

التاريخ: ٢٠٢٤/٨/١٩

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر والتقدير ..... د

الإقرار ..... ه

فهرس المحتويات ..... و

الملخص ..... ح

المقدّمة 1

مشكلة الدراسة 1

أسئلة الدّراسة 2

أهميّة الدّراسة 2

أهداف الدّراسة 3

منهجيّة الدّراسة 4

مخطّط الدّراسة 4

الدّراسات السّابقة 5

بشّار بن برد 6

الفصل الأوّل: التّضمين في التّراث اللّغويّ 11

مفهوم التّضمين في التّراث اللّغويّ 11

معنى التّضمين، لغة واصطلاحا 11

أنواع التّضمين 12

التّضمين والقضايا النّحويّة 23

الفصل الثّاني: التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد 31

مقدّمة 31

المبحث الأوّل: تضمين الفعل المتعدّي بنفسه أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف جرّ 32

البمحث الثّاني: تضمين الفعل اللّازم أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف 44
المبحث الثّالث: تضمين الفعل اللّازم أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بنفسه 57
المبحث الرّابع: تضمين الفعل المتعدّي بحرف أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف آخر 58
المبحث الخامس: تضمين الفعل المتعدّي بمفعول معنى فعل متعدّ بمفعولين..... 77
الفصل الثّالث: بلاغة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد 79
بلاغة التّضمين النّحويّ 79
بلاغة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد 81
الخاتمة 97
المراجع العلمية..... 98
Abstract..... b

التضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

إعداد

منار نايف مصطفى بلبيسي

إشراف

د. مأمون مباركة

الملخص

تناولت هذه الدّراسة شعر بشّار بن برد في باب التّضمين النّحويّ، حيث حلّلت الأبيات الّتي وقع فيها تضمين نحويّ، موضّحة الأصل الّذي كان ينبغي أن تكون عليه والفرع الّذي آلت إليه، شارحة البيت في ظلّ التّضمين برجوعه إلى القصيدة الكلّ.

وتكوّنت الدّراسة من مقدّمة أبانت الباحثة فيها عن السّبب وراء اختيار هذه الدّراسة، طارحة أسئلة تجيب عنها الفصول التّالية، ثمّ أبانت عن الدّراسات السّابقة الّتي أفادت منها. كما احتوت على تعريف عامّ ببشّار بن برد، مبيّنة نسبه وحياته وقوّته الشّعريّة وفق أقوال النّقّاد، ثمّ وفاته.

والفصل الأوّل من هذه الرّسالة قدّم التّضمين عامّة، والتَضمين النّحويّ خاصّة، مبيّنا موقعه من قضايا نحويّة أخرى مشابهة. أمّا الفصل الثّاني، فكان الفصل التّطبيقيّ من الرّسالة، والّذي تناول أقسام التّضمين النّحويّ، في الأفعال أو ما في معناها، في ديوان بشّار بن برد. والفصل الثّالث، والأخير، تناول الحديث عن الهدف البلاغي الّذي يؤدّيه التّضمين، بانتقاء بعض الشّواهد الشّعريّة، الّتي سبق شرح أصلها وفرعها في الفصل الثّاني، وتوضيح البلاغة الواقعة فيها نتيجةً للتّضمين. ثمّ خاتمة بأهمّ النّتائج الّتي خلصت إليها الدّراسة.

الكلمات المفتاحية: التضمين النحوي؛ الشعر؛ بشار بن برد.

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد إمام المرسَلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

ظهر التّضمين النّحويّ مبرّرا لما قد يُشكِل على القارئ العربيّ العارف بأفعال العربيّة من حيث اللّـزوم والتّعدّي. ففيه أنّ فعلا أو ما في معناه انتقل من أصله إلى فرع مخالف، فتعدّى بعدما كـان لازمـا، أو تعدّى بحرف جرّ والأصل تعدّيه بنفسه، وهكذا.. فاحتاج هذا التّغيّر إلى تفسير.

ويمكن القول إنّ الدّراسات الّتي تناولت التّضمين، تناولته في ظلّ النّصّ القرآنيّ أكثر من غيـره مـن النّصوص؛ وذلكم نابع من الإيمان بقدسيّة القرآن الكريم، إذ سالت في سبيل تفسـيره الأقـلام، فكانـت الحاجة إلى تناول هذه الظّاهرة في غيره من النّصوص، مثل الحديث الشّـريف والـدّواوين الشّـعريّة؛ لإبراز تلكم الظّاهرة في الاستعمال اللّغويّ، وبيان حضورها؛ كي لا يُظنّ قلّتها أو شـذوذها، وكـذلكم لتثبيت بلاغة الشّعراء وإضفاء مادّة جديدة إلى مائدة التّميّز العربيّ.

جاءت هذه الرّسالة متناولةً ديوان بشّار بن برد، نموذجا على ظـاهرة التّضـمين النّحـويّ، وداعمـة لوجودها في التّراث اللّغويّ، إذ برزت في شعر واحد ممّن ينتمي إلى العرق الفارسيّ، ما يعنـي أنّهـا كانت منتشرة في تلكم الحقبة الزّمنيّة، ولم تكن مُستغرَبة أو نادرة. واعتمدت الباحثة (ديوان بشّـار بـن برد، تحقيق الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور).

مشكلة الدراسة

أكان لمنكر عربيّ أن يذر ثغرة في الإسلام ميتة؟ أم أنّه كان متصيّدا لكلّ شائبة، لو وجد؟ بالضّرورة ما كان له إلّا أن يكون متتبّعا كلّ ما يتوهّم أنّه قد يكون خللا، أو يبدو له غريبا غير مألوف. لكنّ التّضمين النّحويّ الّذي تتبّعه اللّغويّون في القرآن الكريم كان بمعزل عـن انتقـاد الجاحـدين مـن العـرب أو

استغرابهم، ما يعني أنّه كان دارجا على ألسنتهم، منتشرا بينهم، فهو المُوحى بلغتهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:4].

هل كون التّضمين النّحويّ ظاهرة عند العرب لم يستهجنوها، يجعله كذلكم عند شاعر من أهمّ شعراء العرب، بشّار بن برد؟ أمّ أنّه لم يكن سوى شذرات بسيطة تُلمَح من هنا وهناك، خاصّة مع ندرة الدّراسات حول هذه الظّاهرة في (الشّعر العربيّ)؟ وهل كان وجوده محض عبث أو تكلّف يُسعى إليه في سبيل الفخر بالقدرة على تنوّع الأساليب؟ أم كان لغاية بلاغيّة نفيسة تخدم المعنى وتثريه؟

لعلّ استقصاء الشّواهد في ديوان بشّار، وتحليلها، والبناء عليها، يجيب عمّا مضى.

أسئلة الدّراسة

1. هل شكّل التّضمين النّحويّ ظاهرة في شعر بشّار بن برد؟
2. ما الدّلالات البلاغيّة المتحقّقة من إيقاع التّضمين النّحويّ في شعره؟

أهميّة الدّراسة

لعلّ أهميّة الدّراسة تكمن في كونها:

1. تضيف مادّة جديدة إلى ظاهرة التّضمين النّحويّ الّتي استرعت اهتمام اللّغويّين قديما وحديثا على حدّ سواء، معزّزة إيّاها، مبرزة شواهد لها في غير الدّراسات السّابقة، شاملة مفهومها، عارضة ملخّصا لها.
2. تتناول شاعرا من أبرز الشّعراء الفصحاء الّذين لم يتركوا مجالا لحصر العربيّة في أبنائها، بل كان لهم بخت كبير من بلاغتها جعله من أهلها. فهذه الرّسالة ستطلعنا إن شاء الله على ما تمكّن منه بشّار بن برد في الظّاهرة المدروسة خاصّة، بالتّالي تضيف خطابا يتحدّث به المعتني بشعر بشّار.

3. تدرس في حقل من الشّعر العربيّ، لم يُدرَس قبلا، لتضيف مزيدا من الشّموليّة والـدّعم لظـاهرة التّضمين النّحويّ، في الأجناس عامّة، والشّعر العربيّ، العبّاسيّ خاصّة.
4. تسلّط الضّوء على قضيّة تتفرّد بها اللّغة العربيّة دون غيرها، لتكون في صفوف المبـرزين تميّـز العربيّة وألقها، على كثرة من اصطفّ في هذا الرّتل.

أهداف الدّراسة

بناء على التّساؤلات المطروحة، والأهمّيّة الّتي تحظى بها هذه الدّراسة، ستسعى الباحثة إن شاء الله إلى تحقيق هذه الأهداف فيها:

1. إحياء التّراث العربيّ، من خلال الدّراسة في شعر واحد من أبرز الشّعراء العبّاسيّين.
2. تحرّي مواطن ظاهرة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد، مـا يضـيف مـادّة إلـى مائـدة الدّراسات الّتي تناولت الحديث عن شعره.
3. التّعمّق في الظّاهرة النّحويّة في نموذج من الشّعر العربيّ، إلى جانب ما سبقها من دراسات، فتثري جانبا مهمّا مع الدّراسات الّتي بحثت في الظّاهرة ذاتها.
4. توضيح جوانب الخلاف بين العلماء حول التّضمين النّحويّ، وما قد يتشابك معـه، مثـل: تنـاوب الحروف، ونزع الخافض، وزيادة الحروف.
5. إثبات إذا ما كان التّضمين النّحويّ ظاهرة أم مجرّد استعمال عابر، من خلال استقراء شواهده فـي إنتاج عربيّ ضخم.
6. إحصاء نماذج التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد وتحليلها، ليكون البحث بمثابة مرجع يعـود إليه المهتمّ في شعر الشّاعر والتّضمين النّحويّ على حدّ سواء.
7. تقديم تلخيص حول التّضمين النّحويّ، وعرض آراء اللّغويّين فيه، والتّرجيح بينهـا، مـن خـلال عرض شواهده في شعر بشّار.

منهجيّة الدّراسة

تتبع الدّراسة المنهج الوصفيّ التّحليليّ، فتتيح للقارئ النّظر في المادّة موضوعيّة كما هي، إذ تصف المدروس وحاله، وتتعدّى إلى تحليله وتفسيره وتبيينه في سبيل القضيّة الكبرى الّتي كان البحث لها؛ ما يسمح للقارئ أن يفقه، بنظرة شموليّة عامّة، الفكرة المدروسة، وله أن يتعمّق فيها بالاطّلاع على شواهدها مفسَّرة موضّحة.

مخطّط الدّراسة

تكوّنت الأطروحة من مقدّمة وثلاثة فصول وانتهت بخاتمة.

الفصل الأوّل: سيتناول هذا الفصل الحديث عن مفهوم التّضمين في التّراث اللّغويّ، ليُفصح عن التّضمين النّحويّ والعروضيّ والبلاغيّ بصورة عامّة موجزة، وسيتولّى التّعمّق في مفهوم التّضمين في النّحو العربيّ، فيوضّح معناه، لغة واصطلاحا، وامتداده في كتب التّراث النّحويّ، وآراء العلماء المتنوّعة فيه، مع توضيح عامّ للقضايا الّتي قد تختلط معه أو تنازعه، وفق أقوال النّحاة والبلاغيّين، مثل: تناوب الحروف، ونزع الخافض.

الفصل الثّاني: سيكشف الفصل عن أقسام التّضمين النّحويّ، في شعر بشّار بن برد، فيُظهر ما كان منه مندرجا تحت تضمين الفعل اللّازم معنى الفعل المتعدّي بحرف، أو إذا كان من أمثلة تضمين الفعل المتعدّي بحرف، معنى فعل متعدّ بحرف آخر، وهكذا... وأوردت الباحثة في هذا الفصل أبياتا شعريّة لغير ذوي عصر الاحتجاج، بعد كلّ فعل أبانت أصله والفرع الّذي صار إليه؛ استئناسا لا استشهادا، فالحجّة قائمة من خلال معاجم العربيّة.

الفصل الثّالث: سيُخصَّص هذا الفصل، للحديث عن بلاغة التّضمين النّحويّ، في شعر بشّار بن برد. فتُحلّل الباحثة الشّواهد وتُفصح عن أوجه الإبداع البلاغيّ فيها، بتضمين الفعل معنى فعل آخر، ما يضيف إلى الشّاهد لمسة ذوق ولطافة.

وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الدّراسات السّابقة

1. التّضمين النّحويّ عند شعراء النّقائض جرير والفرزدق والأخطل، مأمون مباركة. وهي رسالة دكتوراه، تبحث في قضيّة التّضمين النّحويّ عند شعراء النّقائض، تميّزت بكونها الأولى الّتي تناولت هذه القضيّة في الشّعر العربيّ، وقد ساعدت الباحثة في فصليها، الأوّل والأخير، خاصّة، إذ كان في الأوّل تقديم واضح لظاهرة التّضمين النّحويّ في ظلّ القضايا الأخرى، وفي الأخير كان الحديث عن بلاغة التّضمين النّحويّ، ما هدى الباحثة إلى تحليل الفائدة المقصودة من التّضمين.
2. التّضمين في العربيّة، أحمد حسن حامد. كتاب فصّل فيه مؤلّفه تراث التّضمين النّحويّ وامتداده في علوم العربيّة، معرّفا بأقوال العلماء في القضيّة، وكان مرجعا للباحثة.
3. تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن الكريم، محمّد حسن عوّاد. تناول مؤلّفه الحديث عن تناوب حروف الجرّ عارضا معه قضيّة التّضمين، وقد كان المؤلّف مشجّعا التّناوب، رادّا التّضمين، فأفادت الباحثة في فهم موقف مؤيّدي التّناوب.
4. النّحو الوافي، عبّاس حسن، أفادت الباحثة من جزء الكتاب الثّاني، إذ تناول الحديث عن قضيّة اللّزوم والتّعدّي، وعلاقة التّضمين بها، وكذلكم علاقة التّضمين بغيره من القضايا النّحويّة.

وكذلكم عادت الباحثة إلى كتب التّراث لمزيد من التّفصيل حول مفهوم التّضمين في العلوم العربيّة. مثل: (النّكت في إعجاز القرآن الكريم، الرّمّاني، ت384 هـ)، و(العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيروانيّ، ت456هـ)، و(أسرار العربيّة، أبو البركات الأنباريّ، ت577هـ)، و(مغني اللّبيب، ابن هشام، ت761هـ). كما أفادت من كتاب (الأغاني، الأصفهاني، ت356هـ) في التّعرّف إلى بشّار بن برد، إلى جانب ديوانه بتحقيق ابن عاشور.

بشّار بن برد

كان لبشّار بن برد حالة مدّت أعين النّاظرين إليه، فدرسوا تميّزه وأشعاره، وأبانوا عمّا كان في شعره من الفصاحة والبيان، خاصّة أنّه وُلِد فارسيّا أكمه. فليست البراعة غريبة على سلالة العرب، لكنّها كذلكم على أنساب العجم. وليس البديع وصوره بعجيب على المبصر، فيتمثّل لشعره ما يراه من جمال، لكنّه كذلكم على من لمْ يرَ نور الدّنيا، وكانت تلكم حالة بشّار! وهذا ما جذب اهتمام الدّارسين، فقيّموا شعره العربيّ وبلاغته وأبانوا عن إجادة بشّار العربيّة كأهلها حتّى عُدَّ منهم.

كان بشّار من نسل فارسيّ (بن برد، 2007)، فهو "بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمهن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ما خرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف بن فتوخي (أو فنوحي) بن كيشن (أو كيمنش) بن كبانيه (أو كيابنه) بن كيقباذ الملك بن راي بن بوذكاب بن ماشوي بن نوذ (أو نوذر) ابن منوشهر الملك بن كبانيه بن منشجورانا بن بدك بن نبروسبح (كذا) إبراهيم الخليل" (بن برد، 2007، صفحة 8)، وكنيته أبو معاذ (الأصفهاني).

وبشّار الفارسيّ نزل في منزل العرب، عند بني عقيل، وكان من مواليهم (الأصفهاني)، غير أنّه كان شديد التّقلّب في ولائه، فمرّة يفخر برحمه الفارسيّ، متنكّرا للعرب، وأخرى يفخر بكونه مولى لهم. وقد عاش مخضرما، في العصرين، الأمويّ والعبّاسيّ، وكان مستقرّا في البصرة (بن برد، 2007).

أمّا لقبه –وقد أقرّ به في شعره– فالمرعّث. واختُلف في سبب هذا اللّقب، فقيل قد كان في أذنه قرطة وُلد بها، وتُسمّى هذه القرطة الرّعاث، فنُسِب إليها (بن برد، 2007؛ قتيبة، 1423هـ). وقيل إنّ له قميصا ذا جيبين، يمينا وشمالا، فإذا لبسه بشّار ضمّه على جسده ولم يحتج إلى إدخال رأسه فيه، فأشبه

الجيبان الرّعاث لاسترسالهما، فمن ذلكم سُمّي المرعّث (بن برد، 2007). يقول بشّار ناسبا اللّقب إلى نفسه (بن برد، 2007، صفحة 148):

أنا المُرعَّثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ بِي الشَّمْسُ لِلدَّانِي وَالنَّائِي

كان بشّار ضخما جاحظا، وقال الأصفهانيّ فيه ناقلا عن الأصمعيّ: "كان أقبح الناس عمى وأفظعه منظرا" (الأصفهاني، صفحة 133). أمّا هو فكان يصف خَلْقَه مُعجَبا، فيقول: "والله إنّي لطويل القامة عظيم الهامة، تامّ الألواح، أسجح الخدّين" (الأصفهاني، صفحة 130)، وهذا يعكس جزءا يسيرا من حالة العُجب الّتي كانت مسيطرة على أشعاره بكثرة هجائه النّاس وعدم اكتراثه بهم.

ويبدو أنّه صاحب نوادر وطرائف؛ فقد سأله سائل مرّة بم عوّضه الله إذ سلب منه نظره؟ فأجاب: "ألّا أراك ولا أمثالك من الثقلاء" (الأصفهاني، صفحة 161).

أمّا بشّار شاعرا، فقد كان من أشعر النّاس، لا يأتي بشعره متكلّفا (قتيبة، 1423هـ)، بل سلسا لطيفا، وقد عدّ الجاحظ عددا من الشّعراء المولّدين المطبوعين، غير أنّه جعل بشّارا "أطبعهم كلّهم" (الجاحظ، 1423، صفحة 64)، وأدرجه الجاحظ كذلكم مع كوكبة الخطباء الشّعراء والمولّدين (الجاحظ، 1423)، وبكونه ضمن الخطباء، يجعل تميّزه لامعا في جانب النّثر لا الشّعر حسب، غير أنّ آثاره من ذلكم الاتّجاه لم تصلنا كما وصلنا شعره (الحاجري).

وشُبّه بشّار بامرئ القيس؛ لتقدّمه على باقي شعراء زمانه، وسُمّي أبو المحدثين؛ لما كان في شعره من تميّز وبديع، إذ قيل إنّه وابن هرمة أوّل من وسّعا البديع وقوّماه. وكذلكم شُبّه بالأعشى، من حيث قوّة الطّبع وزينة الشّعر، فقيل إنّه الأقرب إليه في كثرة المديح والهجاء والافتخار (القيرواني، 1981).

وقد كان لبشّار علم واسع في العربيّة، شهد له بذلكم كبار اللّغويّين والنّقّاد. فممّا قاله أبو زيد الأنصاريّ فيه: "قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب!" (الزجاجي، 1981، صفحة 212). والجاحظ، الّذي هو واحد من أبرز أئمّة العربيّة، يقول فيه: "... بشّارا في العيوق، وليس مولد قرويّ يعدله شعر في المحدث إلّا

وبشّار أشعر منه" (القيرواني، 1981، صفحة 110)، والعيّوق: "نجم أحمر مضيء في طرف المجــرَّة الأيمن، يتلو الثّريّا لا يتقدّمه" (الجوهري، 1987، صفحة 534). كما يصفه ابن المعتزّ فيقــول: "كــان شاعرا مجيدا مفلقا ظريفا محسنا... وكان بشار أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مــدافع" (المعتــز، الصفحات 21–26). ومَن جاء بعدهم أكملوا مديح بشّار، ووصفوه بجميل الصّفات، فهذا الثّعالبيّ ينعتــه بقوله: "أستاذ المحدثين، وصدرهم، وبدرهم، وأعجوبة الدنيا" (الثعالبي، صفحة 148).

وكان لبشّار الفضل في إفادة مَن بعده مِن نهجه وطريقته، إذ كان له النّبوغ في تجديد المعاني، والصّور والأخيلة، مع الاهتمام بالمحسّنات اللّفظيّة (بن برد، 2007). ويُروى عن الأصمعيّ أنّه قال: "بشّار سلك طريقا لم يُسلَك، وأحسن فيه وتفرّد به، وهو أكثر تصرّفا وفنون شعر، وأغزر وأوسع بديعا" (بن بــرد، 2007، صفحة 93). وفي ذلكم الاستئثار البلاغيّ يقول الحصري القيروانيّ: "فتق [للمحــدَثين] أكمــام المعاني، ونهج لهم سبيل البديع، فاتّبعوه" (الحصري، صفحة 472).

وافتخر هو ذاته في علمه العربيّة وإتقانها، فقد سُئل مرّة عن قصيدة أكثر فيها من الغريب، فقــال إنّــه كتبها ردّا على مَن تفاخر بغريبه، وأراد أن يأتي بما لا يعرفه (الأصفهاني). وكذلكم ورد عنه أنّه قــال: "أنا أشعر النّاس" (الحصري، صفحة 472).

ولا بدّ أنّ لذلكم التّميّز مردّا، فبشّار نشأ في البصرة، الّتي كانت موطن نشاط وفكر وثقافة، خاصّة فــي مرحلة الخضرمة الّتي أدركها بشّار، فالحياة الأدبيّة الفكريّة كانت في أوجها في تلكم المرحلة المرافقــة للتّغيّرات السّياسيّة. إلى جانب انضمامه إلى زمرة المتحدّثين بعلم الكلام الّذي عُقِدت أولى جلســاته فــي زمن بشّار، بل إنّه كان مع البُناة الأوائل للاجتماعات الأولى في هذا العلم (الحاجري).

أمّا نشأتُه في منازل بني عقيل، القبيلة العربيّة الخالصة، فكان له الدّور الأكبر فيما اكتسب من فصــاحة وبلاغة، حتّى لا يكاد يخطئ، بل يقال إنّه ردّ على سيبويه أو قيل الأخفش فيما خطّآه فيه، وبيّن صــحّة كلامه. ويقال إنّهما، من بعدُ، استشهدا بشعره (المرزباني، 1995)، وإن لــم تثبــت تلكــم الرّوايــة أو

اختُلِف في سببها إن وجدت، فمجرّد التّطرّق إلى مثل هذا الكلام يُنبِئ بما كان عليه بشّار من بلاغة وفصاحة.

وسئل بشّار عن تلكم البراعة اللّغويّة الّتي اكتسبها، فقيل له: "ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلّا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشكّ فيه، وإنّه ليس في شعرك ما يُشَكّ فيه! قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟ ولدت هاهنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت؛ فمن أين يأتيني الخطأ؟" (الأصفهاني، صفحة 142).

وأورد الأفغاني الاقتباس السّابق محتجّا على وجود بيئات سليمة اللّغة من غير عصر الاحتجاج، وقد سبق الاقتباسَ كلامٌ عن اتّفاق علماء العرب على فترة الاحتجاج، الّتي انتهت في نصف القرن الثّاني الهجريّ. فيقول الأفغانيّ إنّ ذلكم لم يمنع من وجود بيئات سلمت من اللّحن بعد فترة عصر الاحتجاج، مستدّلا على رأيه بقول بشّار السّابق بأنّه تعلّم بين يدي قبيلة لا يعرف واحد فيها الخطأ، وهم في المئة الثّانية من الهجرة، أي بعد عصر الاحتجاج بخمسين سنة (الأفغاني، 1978). والاستشهاد بقول بشّار في موطن الاحتجاج يشير إلى ما كان يتمتّع به بشّار من قدرة لغويّة عربيّة سليمة، وإلى أنّه محلّ ثقة وإن لم يُستشهَد بشعره.

وهذا غيض من فيض عن بشّار وشعره وتمكّنه وإجادته، وإلّا فكتب الأدب مليئة بما يبين ألق بشّار وفصاحته وذلاقته!

أمّا ما انتهى إليه أمره، فاتّهامه بالزّندقة والإلحاد. وما زاد سعي الوشاة به هجاؤه الخليفة المهديّ، فما كان من المهديّ إلّا أن أمر بضربه، فضُرِب حتّى مات، وقد ناهز السّتين، وقيل قد بلغ نيّفا وسبعين. ولمّا بلغ النّاسَ خبر وفاته؛ هنّأ بعضهم بعضا، إذ لم يأمنوا بوائقه في حياته، بل طالهم هجاؤه! ولم

يخرج في جنازته إلّا جارية له، وكان قد قال إنّ النّساء جميعا سيفتقدنه ويخرجن راثيات باكيات (الأصفهاني).

ومرّ المهديّ على بيته بعد موته، فرأى ما يفنّد زندقته، إذ وجد ورقة مكتوبا فيها امتناعه عن هجاء آل سليمان؛ لتذكّره نسبهم من رسول الله عليه السّلام (بن برد، 2007)، فبكى المهديّ ندما! (الأصفهاني).

الفصل الأوّل

التّضمين في التّراث اللّغويّ

مفهوم التّضمين في التّراث اللّغويّ

ليس ثَمّ نصّ أو كتاب كان له مثلما كان للقرآن الكريم من عناية واهتمام، وليس ثمّ لغة كان لها حفظ وصون مثلما كان للعربيّة، لغة الكتاب المبين؛ إذ هي في محكم التّنزيل محفوظة بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:9]. وعليه، فلا شكّ أنّها أُحيطت أبحاثا، وحُفّت دراساتٍ في سبيل بيانها وبلاغتها.

وممّا كان له نصيب أسد من تلكم الدّراسات، التّضمين، بعمومه. فظاهرة التّضمين برزت في علوم العربيّة المختلفة، وفي كلٍّ لها مفهوم خاصّ، وإن تشابكت في المفهوم العامّ. وفي هذا التّمهيد ستبين الباحثة عن مفهوم التّضمين لغة واصطلاحا، وعن أنواعه، مستعينة بما سبق من دراسات، بشيء من الاختصار.

معنى التّضمين، لغة واصطلاحا

(التّضمين) مصدر مشتقّ من الجذر (ضمن)، أمّا في الصّحاح، فوجّه الجوهريّ معنى (ضمِن) بقوله: "[ضمن] ضمنت الشيء ضمانا: كفلت به، فأنا ضامِنٌ وضَمينٌ. وضَمَّنْتُهُ الشيء تضمينا فتضمنه عنى، مثل غرمته. وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمَّنْتَهُ إياه... وفهمت ما تَضَمَّنَهُ كتابُكَ، أي ما اشْتمل عليه وكان في ضِمْنِهِ. وأنفَذْتُهُ ضِمْنَ كتابي، أي في طيّه" (الجوهري، 1987، صفحة 155).

ووجّه ابن منظور معنى (ضمن) بقوله: "ضمن: الضَّمِينُ: الْكَفِيلُ. ضَمِنَ الشيءَ وَبِهِ ضَمْناً وضَمَاناً: كَفَل بِهِ. وضَمَّنَه إِياه: كَفَّلَه... وضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أَوْدَعه إِياه كَمَا تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 257).

وجاء الجذر (ضمن) في القاموس المحيط على النّحو الآتي: "ضَمِنَ الشيءَ، وـــ بـــه، كعَلِـمَ ضَـماناً وضَمْناً، فهو ضامِنٌ وضَمِينٌ: كَفَلَهُ. وضَمَّنْتُهُ الشيء تَضْميناً، فَتَضَمَّنَهُ عَنِّي: غَرِّمْتُهُ فالتَزَمَهُ. وما جَعَلْتَهُ في وِعاءٍ فقد ضَمَّنْتَهُ إياهُ... وتَضَمَّنَهُ: اشْتَمَلَ عليه" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1212).

وبهذا التّقديم للأصل اللّغويّ (ضمن)، والفعل (ضمّن)، يمكن أن يُستنتج الاجتماع علـى فكـرة عامّـة يؤدّيها الفعل، وهي (الاحتواء والاشتمال). وهذا ما يستقرّ حقيقة في التّعريـف الاصـطلاحيّ لمفهـوم التّضمين، إذ "هو في اصطلاح علماء العربيّة إشراب فعل معنى فعل آخر" (ضيف، صفحة 81)، أو هو "إلحاق مادّة بأخرى، لتضمّنها معناها" (حسن، صفحة 567)، وأصدر مجمع اللّغة العربيّة قـرارا فـي تعريف التّضمين، فقال: "التّضمين أن يؤدّي فعل أو ما في معناه مؤدّى فعل آخر أو فيما معناه فيُعطـى حكمه في التّعدية واللّزوم" (حسن، صفحة 594).

وممّا اتُّفق عليه أيضا، إلى جانب المفهوم العامّ للتّضمين، الفائدة الّتي يقدّمها، ألا وهـي إغنـاء اللّفـظ باشتماله معنيي اللّفظين، المتضمِّن والمتضمَّن، أو هي كما يقول عبّاس حسن: "أن تؤدّي كلمـة مـؤدّى كلمتين، فالكلمتان مقصودتان معا قصدا وتبعا"(حسن، صفحة 565)، وهذه فائدة تخصّ المعنى، بلاغيّـا. وخلص أحمد حامد من تعريفات النّحاة إلى فائدة أخرى، خاصّة بالتّركيب، مـن حيـث تعـدّي الفعـل ولزومه، وعلاقتها بالنّحو. (حامد، 2001)

أنواع التّضمين

إلى جانب موضوع الدّراسة، لا بدّ من توضيح مفهوم التّضمين الّذي اشـتملت عليـه علـوم العربيّـة، البلاغيّ: البيانيّ والبديعيّ، والعروضيّ، وأخيرا النّحويّ.

أوّلا: التّضمين البلاغيّ

وله قسمان:

أ. التّضمين البيانيّ

أجمع علماء البلاغة على أنّ التّضمين البيانيّ يحقّق معنى غير موجود في ذاته من خلال ذكر شيء من لوازمه، أو اسم أو صفة دالّة عليه. فالرّمّاني الّذي يُعَدّ من أوائل الّذين تحدّثوا عنه يعرّفه بقوله: "تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه" (الرماني، 1976، صفحة 102)، ويقسّمه إلى تضمين دلّ عليه الكلام دلالة إخبار، وآخر دلّ عليه دلالة قياس.

أمّا الأوّل، فمثل قولنا: (منكسر) والمراد (مكسور)، فاسم الفاعل تضمّن معنى اسم المفعول، والعكس. والثّاني –ما دلّ عليه الكلام دلالة القياس–، فيدخل فيه كلام الله –تعالى– كلّه؛ فالله –سبحانه– يضمّن الآية معاني كثيرة غير مذكورة في ألفاظها (الرّمّاني، 1976).

وتوالى العلماء في تحديد مفهوم التّضمين وفائدته، مجمعين على أنّه: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر" (حامد، 2001، صفحة 7)، "وفائدته أن تؤدّي الكلمة معنى كلمتين" (ابن هشام، 1985، صفحة 897). وقد عرّفه أبو البقاء الكفويّ قائلا: "هوَ إشراب معنى فعل لفعل ليعامل مُعَامَلَته وَبِعِبَارَة أُخْرَى: هُوَ أَن يحمل اللّفْظ معنى غير الّذِي يسْتَحقّهُ بِغَيْر آلَة ظَاهِرَة... وكل من الْمَعْنيين مَقْصُود لذاته فِي التّضْمِين" (الكفوي، صفحة 266)، وأدرج كذلكم في الصّفحة ذاتها تعريفات العلماء الآخرين، وكلّها تدور في فلك واحد.

وأبان العلماء عن اتّساع التّضمين ليشمل الأسماء والأفعال والحروف، فهم إذ يعرّفون التّضمين يعرّفونه بكلمة (لفظ)، لتشمل الكلام بأنواعه، ومن ذلكم ما نقله أحمد حامد عن ابن كمال باشا في تعريفه التّضمين، إذ يقول: "وإنّما أطلقنا اللّفظ لينتظم الاسم" (حامد، 2006، صفحة 10).

والتّضمين البيانيّ اختصاص علماء البلاغة، إذ يبحثون في المعنيين اللّذين يؤدّيهما اللّفظان، وعلاقة بعضهما بالآخر، وينظرون علاقتهما بالمجاز والكناية وغيرهما من موضوعات البلاغة (حامد، 2001). وهذا لا يعني انفصاله عن التّضمين النّحويّ، بل سيأتي في باب التّضمين النّحويّ وفي الفصل الثّالث من الرّسالة ارتباطهما.

أمّا من حيث علاقة التّضمين بالحقيقية والمجاز، فلم يرسُ العلماء على قرار فيه، فمنهم من رأى التّضمين حقيقة، ومنهم من رآه مجازا. فمن قال إنّ التّضمين مندرج تحت باب الحقيقة، قال إنّ المقصود فيه اللّفظ المذكور حقيقة ويتبعه معنى يلائمه دون لفظ آخر. والقائلون بأنّه داخل في دائرة المجاز؛ فلأنّ المعنيين مقصودان في ذاتهما، معنى الفعل المضمِّن والمضمَّن (حامد، 2006). وترى الباحثة أنّ التّضمين أقرب إلى المجاز؛ لأنّ صحّة المجاز متعلّقة بشرطين، وقد تحقّقا في التّضمين، وهما: "العلاقة أي: الصلة بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه، والقرينة التي تصرف الذهن عن المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي الجديد" (حسن، صفحة 540). وفي التّضمين، تتوفّر العلاقة الّتي تجمع بين الفعلين أو ما في معناهما، وكذلكم توجد القرينة الّتي أرشدت إلى فكرة التّضمين.

ب. التّضمين البديعيّ

ظهر مصطلح التّضمين، في علم البديع، موازيا لمصطلحي الاقتباس والسّرقات الشّعريّة، ووضّح العلماء مفهوم كلّ واحد من تلكم المصطلحات درءا لأيّ لبس في فهمها. فقال الجوهريّ أثناء عرضه مادّة (ضمن) في الصّحاح: "والمُضَمَّنُ من الشعر: ما ضَمَّنْتَهُ بيتاً" (الجوهري، 1987، صفحة 2155). ويقول القيروانيّ فيه: "هو قصدك إلى البيت من الشّعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثّل" (القيرواني، 1981، صفحة 84).

وليس التّضمين غريبا في الشّعر، بل كثيرا ما لجأ إليه الشّعراء في أشعارهم، وفي ذلكم يقول الشّريشيّ: "والشّعراء تتولّع به كثيرا، وهو من صنعة البديع" (الشريشي، 2006، صفحة 28). أمّا الغرض من ذا التّضمين فتثبيت المعاني المقصودة، وتأكيدها. (الكفوي)

وعمد العلماء إلى شرح التّضمين؛ للتّفرقة بينه وبين السّرقات الشّعريّة، فهم إذ يعرّفونه ويوردون أمثلة عليه، يعلّقون بما يُنبئ بهذه الغاية. فالقيروانيّ يعلّق على أبيات ورد فيها التّضمين، أنْ لو فعل الشّاعر كذا لكان أجود؛ لأنّه قد يُتّهم بالسّرقة (القيرواني، 1981). ويقول الشّريشيّ في تعريفه إيّاه: "وليس بسرقة" (الشريشي، 2006، صفحة 28).

فالتّضمين البديعيّ مذهب دارج عند العرب، ولا يعدّونه من العيوب (ابن سيده، 2000)، إلّا أنّ السّرقات الشّعريّة ممّا قبُح عندهم. فالسّرقة الشّعريّة محصورة على ما اختصّ به الشّاعر دون غيره، واستبعدوا أن تكون في المتعارف عليه بينهم (القيرواني، 1981). وهي أيضا: "سلخ ومسخ ونسخ" (الشريشي، 2006، صفحة 156). فالسّارق يحرّف ما سرق؛ كي لا يدلّ على صاحبه. على عكس التّضمين الّذي لا يتحرّج الشّاعر من اللّجوء إليه والاستعانة به. وقد جاء في شرح مقامات الحريريّ عشرون وجها للسّرقة، ومن ذلكم كان الخبير في التّمييز بينها وبين التّضمين ماهرا حاذقا (القيرواني، 1981).

أمّا الاقتباس، فجاء في تعريفه أنّه تضمين للكلام كلاما آخر أيضا، كما التّضمين، غير أنّ الاقتباس مقتصر على تضمين النّثر آيات من القرآن الكريم والحديث الشّريف، وقال الحمويّ إنّ ذلكم الإجماع أمّا الشّعر، فليس فيه إلّا التّضمين (الحموي، 2004).

وقال الجوهريّ في شرح المادّة المعجميّة للاقتباس (قبس): "اقْتَبَسْتُ منه عِلماً أيضاً، أي استفدته" (الجوهري، 1987، صفحة 960)، ومنه يُلمح الغرض الّذي يؤدّيه الاقتباس، ألا وهو الإفادة منه،

توكيدا للمعاني ودعما للحجج، وحرصا على مزيد من الجماليّات؛ إذ كان فيها قول الله –تعالى–، وحديث رسوله –صلّى الله عليه وسلّم–.

ثانيا: التّضمين العروضيّ

ظهر مصطلح التّضمين في علم العروض، بمعنى مغاير لما كان عليه في علم البلاغة، فهو عند واضع علم العروض، الفراهيديّ: "المُضمَّنُ من الشِّعْر: ما لم يَتِمَّ معنى قوافيه إلاّ في الذي قبلهَ أو بعدَه" (الفراهيدي، صفحة 51). وفي الصّحاح: "والمضمَّنُ من البيت: ما لا يتمُّ معناه إلا بالذي يليه" (الجوهري، 1987، صفحة 2156). ومنه ما قاله بشّار بن برد (ابن برد، 2007، صفحة 137):

راحَ في نعْشِهِ ورُحْتُ إلى "عُقبةَ" أشكو، فقالَ غيرَ نِجَاء

إنْ يكن مِنصفٌ أَصَبْتُ فَعِندي عَاجِلٌ مِثْلُهُ منَ الوُصَفَاء

فالبيت الثّاني متعلّق بالأوّل؛ إذ أتمّ بشّار قول عقبة في البيت الّذي يليه.

ولكن، هل كان هذا التّضمين مقبولا؟ أم عُدّ من عيوب الشّعر؛ إذ فيه يكتمل الوزن قبل اكتمال المعنى؟ (التنوخي، 1970) اختُلف في إجابة هذا السّؤال، فابن منظور في لسان العرب يعقّب برأي الأخفش على بيتين فيهما تضمين، قائلا إنّ التّضمين ليس عيبا في الشّعر (ابن منظور، 1414هـ)، وهو بطبيعة الحال ناقل ما تراه العرب وتؤمن به.

وفي المقابل وُجد اتّجاه آخر يرى أنّ البيت الواحد ينبغي أن يكون مستقلّا بذاته غير محتاج إلى ما بعده لإتمام معناه، وعلى هذا؛ عدّ أصحابُ ذا المذهبِ التّضمينَ العروضيّ عيبا، ومنهم البغداديّ صاحب خزانة الأدب؛ ذلكم لأنّ أحد البيتين متوقّف على الآخر (البغدادي، 1997). وكذلكم يرى ابن عاشور، معلّقا على بيتي بشّار السّابقين، أنّ ذا التّضمين ولو كان عيبا، إلّا أنّه كثير عند العرب؛ لحاجتهم إليه (ابن برد، 2007).

وثَمّ رأي وسط بين الرّأيين السّابقين، لم يرفض التّضمين العروضيّ مطلقا، ولم يقبله مباحا، فابن جنّي يرى أنّ الحكم على التّضمين متوقّف على درجة حاجة أحد البيتين إلى الآخر، فإن كانت حاجة البيت إلى الآخر شديدة؛ كان عيبا ربّما يصل إلى درجة القبح (حامد، 2001)، وفيما عدا ذلكم فهو مُقِرّ برأي الأخفش في أنّه ليس بعيب، بل "هو مذهب تراه العرب وتجيزه" (الزبيدي، 2001، صفحة 334)

أمّا المحدَثون، فلا يعدّون التّضمين العروضيّ عيبا أيضا؛ لأنّهم يرون وحدة الشّعر الموضوعيّة لا وحدة البيت الواحد، وبذلكم يردّون على مَن رفض التّضمين بحجّة استقلاليّة البيت الواحد.

ثالثا: التّضمين النّحويّ

التّضمين النّحويّ، غرض الدّراسة، أحد أنواع التّضمين الّتي بحث فيها الدّارسون كثيرا، وكان لها دراسات وفيرة، غير أنّ تطبيقها يكاد ينحصر في النّصّ القرآنيّ، وحظّها في النّصوص الأدبيّة قليل.

يتّفق التّضمين النّحويّ والتّضمين البيانيّ في تعريفهما، فالتّضمين النّحويّ أيضا إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وقد ورد في قسم التّضمين البيانيّ، في هذه الأطروحة، مزيد تعريفات موثّقة.

ويجمل عبّاس حسن تعريفا آخر للتّضمين، بقوله: "التّضمين إلحاق مادة بأخرى لتضمنّها معناها" (حسن، صفحة 567)، ونلاحظ استخدام (مادّة)، ومن قبلُ (لفظ)، ما يعني أنّ التّضمين غير خاصّ بالأفعال، بل هو واقع في الأسماء عموما، كالمشتقّات وغيرها.

وتضمّن فعل أو ما في معناه معنى فعل آخر أو ما في معناه، يجعل المعنيين مقصودين معا، وهنا الفائدة الحقيقيّة البلاغيّة للتّضمين، إذ لا يُكتفى بلفظ معطٍ معنى واحدا، بل يُؤتى بلفظ يجمع معنيين. وفي حديث رسول الله –عليه السّلام–: "الإمام ضامن" (الألباني، 2002، صفحة 3)، لفتة جميلة لما يؤدّيه التّضمين. فالإمام يقوم بصلاته تامّة كاملة، ويتحمّل معها قراءة المأمومين ويتكفّل دعاءهم، وكذلكم تضمين الألفاظ، فاللّفظ يؤدّي معناه كاملا، إلى جانب معنى ما يتضمّنه.

وليس التّضمين شاذّا أو قليلا، بل "[منه] في اللّغة شيء كثير لا يكاد يحاط به" (حسن، صفحة 566)؛ وذلكم مردّه، بالضّرورة، إلى مرونة العربيّة وعدم تعسّفها، فيجوز التّبديل والتّغيير ما دام هناك غرض علميّ أو بلاغيّ يقتضيهما، إذ تتوسّع العربيّة لتستوعب وقوع فعل أو ما في معناه مكان فعل آخر أو ما في معناه وأخذه حكمه في اللّزوم والتّعدّي، إذا كان في ذلكم ضرورة أو هدف. وهذا لا يعني التّبسّط في قبول السّابق، بل إن كان بالإمكان أن يقتصر اللّفظ على مدلوله كان أجدر. (الكفوي)

والتّضمين النّحويّ متعلّق، بالدّرجة الأولى، بقضيّة الأصل والفرع، وقد تناول العلماء هذه القضيّة في أبواب رئيسة وواسعة في كتب اللّغة، وهي قضيّة تتّكئ على نظريّة القياس القائم عليها النّحو كلّه، على حدّ قول ابن الأنباريّ (ابن الأنباري، 1971). إذ عرّف القياس على أنّه "تقدير الفرع بحكم الأصل"، وهو كذلكم "إلحاق الفرع بالأصل بجامع" (ابن الأنباري، 1971، صفحة 93). فإذن قضيّة الأصل والفرع لبّ القياس الّذي هو مركز في النّحو، أو كما نقل السّيوطي: "إنّما النّحو قياس يُتّبَع" (السيوطي، 2006، صفحة 175).

وفي ظاهرة التّضمين النّحويّ أسماء وأفعال وحروف خرجت على أصولها. فالإعراب مثلا أصل في الأسماء، والبناء فرع فيها (السيوطي، 1998)، فتخرج على أصلها الإعراب، إلى فرع البناء، إذا تضمّنت معنى الحروف (ابن الناظم، 2000)، وكذلكم الحاصل في الأفعال، إذا خرجت على أصلها من اللّزوم إلى التّعدّي؛ لتضمّنها معنى فعل متعدٍّ، وهكذا.

وممّا يؤيّد القول بأنّ التّضمين متأثّر بقضيّة الأصل والفرع، أقوال العلماء القدماء فيه، ولفتهم النّظر إلى خروج المعنى على أصله، فيقول الرّضي الإستراباذي بتغليبه التّضمين على تناوب الحروف: "واعلم أنه إذا أمكن في كل حرف يتوهّم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى، أو زيادته: أن يبقى على أصل معناه الموضوع هو له، ويضمّن فعله المعدّى به معنى من المعاني يستقيم به الكلام، فهو الأولى،

بل الواجب" (الرّضي الإستراباذي، 1398هـ، صفحة 329). فهو بهذا يقول صراحة إنّ في التّضمين خروجا على الأصل.

ويقول كذلكم صاحب المغني في سياق تفرقته بين الحذف والتّضمين: "الْحَذف والتضمين وَإِن اشْتَركَا فِي أَنّهُمَا خلاف الأَصْل لَكِن فِي التّضْمِين تَغْيِير معنى الأَصْل وَلَا كَذَلِك الْحَذف" (ابن هشام، 1985، صفحة 299). فواضح تمام الوضوح، في قوله، أنّ التّضمين يدور في فلك قضيّة الأصل والفرع؛ لأنّه في جوهره خروج على الأصل.

ويختصر محمّد حسن عوّاد فكرة ارتباط التّضمين بالأصل والفرع عند النّحاة بقوله: "كانوا [النّحاة] يصدرون في هذه المسألة عن اعتقاد بالأصالة والفرعيّة،... لذلك لا غرابة أن يقولوا: إنّ الفعل اللّازم كذا قد تضمّن معنى المتعدّي؛ لأنّ الأصل فيه هو اللّزوم.." (عواد، 1982، صفحة 64)

وممّا سبق، يظهر تعلّق ظاهرة التّضمين بقضيّة اللّزوم والتّعدّي في الأفعال، أو ما في معناها، وقد عرّف مجمع اللّغة العربيّة التّضمين بقولهم: "أن يؤدّي فعل أو ما في معناه في التّعبير مؤدّى فعل آخر أو في معناه، فيعطى حكمه في التّعدية واللّزوم" (حسن، صفحة 594).

ففي العربيّة أفعال متعدّيّة في أصلها، وأخرى لازمة، لكن قد يتعدّى اللّازم، وقد يصير المتعدّي لازما، أو ربّما يتعدّى الفعل بحرف جرّ وهو متعدّ بنفسه أصلا، أو قد يتعدّى بحرف جرّ وهو يتعدّى بحرف جرّ آخر أساسا. وهنا يتبادر إلى الذّهن الأسئلة الآتية: لِمَ صار هذا التّغيير؟ ولِمَ تعدّى الفعل بعدما كان لازما؟ ولِمَ تعدّى بمفعول وهو يتعدّى بحرف؟ إجابات هذه الأسئلة هي لبّ التّضمين النّحويّ، إذ يُعمَد إلى تحليل التّركيب المشتمل على التّضمين، تحليلا نحويّا ودلاليّا يفسّر انزياح الفعل أو ما في معناه عن أصل اللّزوم والتّعدّي، ويوجّهه التّوجيه البلاغيّ الّذي من أجله حدث هذا الانزياح.

وقبلا، لا بدّ من توضيح قضيّة اللّزوم والتّعدّي الّتي ظهر التّضمين مبرّرا للتّغيّر الطّارئ عليها.

فالأفعال كما تنقسم من حيث الزّمان إلى ماض ومضارع وأمر، كذلكم تنقسم من حيث اللّزوم والتّعــدّي إلى أفعال لازمة، وأخرى متعدّية، وغيرها مسموعة، تستعمل لازمة ومتعدّية، وأفعال ليست بلازمة ولا متعدّية (السيوطي، 1998).

والفعل اللّازم: كلّ فعل لزم فاعله ولم يتعدّ إلى مفعول به (السيوطي، 1998). بمعنى أنّه لم يحتج لإتمام معناه إلى مفعول، لكنّه قد يحتاج إلى حرف جرّ لإتمام معناه. فمن الأفعال اللّازمــة القاصــرة، الفعــل (شبّ)، جاء في الصّحاح: "شبّ الغلام يشبّ بالكسر" (الجوهري، 1987، صفحة 151)، ويقول بشّــار على الأصل (ابن برد، 2007، صفحة 230):

وَطِفْــــــلُ الحُــــــبِّ أضــــــناني فويــــــلٌ لــــــي إذا شــــــبّا

ومثال الفعل اللّازم الّذي يتعدّى بحرف جرّ، الفعل (غفل) الّذي يتعدّى بحرف الجرّ (عن)، فقد جاء فــي التّاج: "غَفَلَ عَنهُ غَفْلَةً وغُفولاً: تَرَكَه وسَها عَنهُ" (الزبيدي، 2001، صفحة 108)، وفيه يقول ابن بــرد (ابن برد، 2007، صفحة 256):

لا يغفُلُ القلــبُ عــن "ليلــى" وقــد غفَلَــتْ عمّــا يُلاقــي شَــجٍ بالحُــبِّ مغتــربُ

أمّا المتعدّي كما يقول ابن الحاجب فهو "ما يتوقّف فهمه على متعلّق" (الرّضــي الإســترابادي، 1398ه، صفحة 135)، أو هو "الذي ينصب بنفسه مفعولا به أو اثنين، أو ثلاثة؛ من غير أن يحتاج إلى مســاعدة حرف جر، أو غيره ممّا يؤدّي إلى تعدية الفعل اللازم" (حسن، صفحة 150). وقيل في تعريف المفعول به: "كل اسم تعدّى إليه فعل" (ابن الأنباري، 1971، صفحة 83). والفعل (نفع) مثــال علــى الأفعــال المتعدّية، ففي معجم الزّبيديّ: "نَفَعَه نَفْعاً" (الزّبيدي، 2001، صفحة 268). وقد ورد على أصله في قول بشّار (بن برد، 2007، صفحة 264):

لا ينفــــعُ المــــرءَ مــــالُ والــــدِهِ غــــدا عييّــــا، وينفــــعُ الأدبُ

وهناك أفعال تحتمل اللّزوم والتّعدّي ومعناها واحد. من ذلكم الأفعال الّتي أوردها السّيوطي في همع الهوامع، مثل: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له...، وهناك أفعال تحتمل أن تكون لازمة أو متعدّية حسب دلالتها. فالفعل (كفر) مثلا، يكون لازما مؤدّيا معنى (غطّى)، وقد يكون متعدّيا بحرف جرّ، فيُقال: (كفر بالله)، أي لم يؤمن به. وليس في هذا تضمين أبدا، وعلى هذا يُقاس. أمّا الأفعال الّتي لا توصف بلزوم أو تعدٍّ، فالأفعال النّاقصة (السيوطي، 1998).

والتّضمين –والقضايا الأخرى– متعلّق بالنّوعين، الأوّل والثّاني: الأفعال الّتي لا تكون إلّا لازمة، أو متعلّقة بالجارّ، والأخرى الّتي لا سبيل إلى فهمها إلّا بالمفعول به، وقد خرجت عن أصلها، فما كان لازما تعدّى، وما كان متعدّيا بنفسه تعدّى بحرف، وهكذا.

والسّبيل إلى تمييز المتعدّي من اللّازم، يمكن بواحدة من اثنتين (حسن، صفحة 152):

1. إمكانيّة اتّصال الفعل بضمير، فاتّصاله يعني تعدّيه. وطريق ذلكم وضع الفعل في جملة بعد اسم غير مصدر وغير ظرف، فإن سلم المعنى؛ كان متعدّيا. ومثال ذلكم الفعل (شفّ)، فيجوز أن نقول: الفتى شفَّه الحزنُ. وقد جاء بشّار بالفعل متّصلا بالضّمير، فيقول: (بن برد، 2007، صفحة 133)

فَاتّقِي اللهَ فِي فَتًى شَفَّهُ الْحُبُّ وَقَوْلُ الْعِدَى وَطُولُ الْجَفَاء

2. المجيء باسم المفعول من الفعل المراد تمييزه من حيث اللّزوم والتّعدّي، فإن صحّ اسم المفعول دون حاجة إلى جارّ ومجرور؛ كان الفعل متعدّيا بنفسه. فاسم المفعول من الفعل (أخذ): مأخوذ، ولم يحتج إلى متعلّق ليستقيم؛ فيكون الفعل متعدّيا بنفسه. وقد جاء اسم المفعول (مأخوذ) في قول بشّار (ابن برد، 2007، صفحة 194):

وَالْقَلْبُ عِنْدَكَ مَأْخُوذٌ مَسَامِعُهُ فَلَا يَرُوعُهُ مَنْ قَامَ أَوْ قَعَدَا

وإن احتاج اسم المفعول إلى جارّ ومجرور كان لازما. ومن ذلكم اسم المفعول من الفعل (علَّق) الّـذي يتعدّى بحرف الجرّ (الباء)، وقد جاء به بشّار على أصله، فيقول (بن برد، 2007، صفحة 8):

وَبِـــتُ كَـــأَنِّي بـــالنُّجُومِ مُعَلَّـــقٌ أسَـــائِلُ وُسْـــطَاهَا عـــن الكوكَـــبِ الفَـــرْدِ

غير أنّ صاحب النّحو الوافي يعلّق على هذين المسلكين بالرّفض؛ إلّـا لـو أراد المـرء الاسـتئناس لا المعرفة، أمّا المعرفة الأولى فلا تتمّ إلّا بالعودة إلى معاجم اللّغة الّتي بذل أصحابها جهـدا عظيمـا فـي تبيين مضمونها من الأفعال.

ويضيف مأمون مباركة طريقة الاستشهاد بآيات القرآن الكريم والحديث النّبويّ والشّـعر الـوارد فـي عصر الاحتجاج، مع لفت النّظر إلى إمكانيّة الاستئناس بشعر ما بعد عصر الاحتجاج، على أن يكـون الاتّكاء الحقيقيّ والبناء الصّحيح على معاجم اللّغة (مباركة، 2011).

وبتمييز اللّازم من المتعدّي باللّجوء إلى الطّرق السّابقة، يترتّب تفسير وتعليل لما خـرج عـن أصـله، فتحوّل من حال إلى آخر. ومن التّغيّرات الّتي تطرّأ على الفعلين اللّازم والمتعدّي، والّتي ناقشت الباحثة قضايا تفسيرها في ظلّ التّضمين:

1. تحوّل الفعل اللّازم إلى فعل متعدّ بحرف.
2. تحوّل الفعل المتعدّي إلى مفعول إلى فعل متعدّ بحرف.
3. تحوّل الفعل المتعدّي بحرف إلى فعل متعدّ إلى مفعول.
4. تحوّل الفعل المتعدّي بحرف إلى فعل متعدّ بحرف آخر.

ومن الضّرورة لفت الانتباه إلى أنّ التّضمين معنيّ بالأفعال الّتي حافظت على بنيتها، بمعنى أنّها لم تكن لازمة وتعدّت لزيادة في مبناها. فما كان من الأفعال –مجرّدا– لازما أو متعدّيا إلى مفعول واحـد، ثـمّ صار على وزن (أفعل)، أو (فاعل)؛ فإنّه يصير متعدّيا إلى واحد إن كان من قبلُ لازما، أو إلى مفعولين إن كان قبلا متعدّيا إلى واحد. فهذا التّغيير بعيد عمّا سيأتي توضيحه في التّضـمين. إذ نقـول: "جلـس

عمرُ"، و"جالستُ عمرَ"؛ لإفادة المشاركة حسب، والتّعديّة ترتّبت على تغيّر المبنى، ولا علاقة له بالتّضمين (حامد، 2001).

وفي خلاصة هذه المقدّمة، يتّضح أنّ التّضمين ورد في علوم العربيّة، مختلفا في كلّ واحد منها، وأنّ علماء البلاغة عمدوا إلى توضيحه، بيانيّا وبديعيّا؛ لدراسة لون جديد من جمال العربيّة، وللتّفرقة بينه وبين مصطلحات أخرى قد يظنّ البعض تشابكها، مثل الاقتباس والسّرقة الشّعريّة.

وفي علم العروض، عدّ بعض العلماء التّضمين عيبا في الشّعر، وذلكم نابع من إيمانهم بضرورة انفراد البيت في معناه، ثمّ تبعهم علماء آخرون رأوا أنّه ما من عيب فيه؛ لأنّهم اعتقدوا وحدة القصيدة لا البيت، وبينهما قوم آخرون توسّطوا في رأيهم، فما عدّوا التّضمين عيبا مطلقا، ولم يقبلوه في كلّ حال، إنّما علّقوا قبوله ورفضه على درجة احتياج البيتين إلى الآخر.

أمّا النّحويّون، فقصدوا إلى توضيحه؛ لكونه مبرّرا لحالة فرعيّة خرجت عن الأصل؛ فكلّ ما خرج عن الأصل احتاج تبريرا وتفسيرا، فوضّحوا الأصل الّذي كان عليه الفعل أو ما في معناه، والفرع الّذي حال إليه، وأثر ذلكم في التّركيب والإعراب.

التّضمين والقضايا النّحويّة

ظهرت قضيّة التّضمين النّحويّ مبرّرا لحالة من حالات خروج الفعل أو ما في معناه عن أصله، من حيث اللّزوم والتّعدّي، إلى جانب قضايا أخرى تنافست معه في تبرير تلكم الحالة. ومن هذه القضايا: تناوب الحروف، والحمل على المعنى، وزيادة الحروف، والنّصب على نزع الخافض، وغيرها. وكان لكلٍّ أصحابٌ يتبنّونه في توجيههم، وضّحوا آراءهم فيه، وسبب اختيارهم إيّاه دون غيره. وفي هذا المبحث ستتناول الباحثة التّضمين بين هذه القضايا.

- **التّضمين النّحويّ وتناوب الحروف**

لا يُفهم معنى الحرف وحده، لكنّه يبرز في التّركيب، وهو وسيلة إلى فهم الفعل الّذي ارتبط به، فيوضّح دلالة الفعل الّتي ما كانت لتتمّ لولاه، وعلى هذا، ينبغي أن يُختار الحرف المناسب للمعنى المراد، وإلّا زاد الإبهام ولم يزُل، أو كان معنى آخر غير مراد. فمثلا قولنا: "ذهبت إلى كذا"، يختلف تماما عن: "ذهبت بكذا". وهناك أفعال تشتهر بتعدّيها بحرف لا تكاد تتجاوزه، فالفعل (دنا) مثلا، يتعدّى بحرف الجرّ (من)، فتقول: "دنوت منه"، والفعل (اشتاق)، يتعدّى بحرف الجرّ (إلى)، وهكذا.

لكن، ثَمّ تغيّر يطرأ على بعض الأفعال، فيعدّيها بحرف جرّ غير الّذي كانت تتعدّى به أصلا، واختلف العلماء في تفسيرهم الحالة. فقد فسّر بعضهم الظّاهرة السّابقة بتناوب الحروف، وقالوا إنّ للعربيّة اتّساعا يُؤهّلها لينوب فيها حرف محلّ آخر، ويبرّرون توجّههم بأنّ الحرف كلمة كغيره، فكما يكون للاسم الواحد معان عدّة، يكون للحرف كذلكم، وفي ذلكم يقولون: "قصر حرف الجرّ على معنى حقيقيّ واحد تعسّف وتحكّم لا مسوّغ له" (حسن، صفحة 540). وبهذا يرون أنّ الحرف (إلى) مثلا قد يؤدّي معنى الحرف (من)، فينوب مكانه، ليُقال: "دنا إليه"، بدلا من الأصل "دنا منه"، مقتصرا تفسيرهم على التّناوب حسب.

غير أنّ أصحاب المذهب ذاتهم يرون أنّ تناوب الحروف مرتبط بشهرة الاستعمال اللّغويّ (حسن)، وعلى هذا؛ لا يكون التّناوب قادرا على تفسير الحالات كلّها، بل يكون محدودا ومشروطا، حتّى إنّ ابن جنّي رآه "مغسولا ساذجا" (ابن جني، صفحة 308)، إذ يتناوله في باب سمّاه: (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض)؛ لأنّ قَبوله عامّا يؤدّي إلى اختلال المعاني، وزعزعة التّراكيب، وهو ما لا يجوز في العربيّة لدقّتها وبلاغتها. إذن يمكن الأخذ بالتّناوب فيما شاع وانتشر حتّى غدا مألوفا لا غرابة فيه، لكنّه غير ممكن فيما لم يؤلَف، فكيف يُفسَّر؟

يرى علماء آخرون أنّ تلكم الحالات الّتي لم تُؤلَف يمكن أن تُدرَج في باب التّضمين، إذ يرون التّوسع في الأفعال أولى منه في الحروف، فالحرف خاضع للفعل لا العكس، ولا معنى له دونه، ما يجعل التّجوّز في الفعل أجدر منه في الحرف. ويلخّص ذلكم مأمون مباركة موضّحا: "... أنّ الفعل هو المقصود لذاته في الاستعمال اللّغويّ، وهو أساس المعنى في التّركيب، وأنّ استعمال حروف الجرّ مقترنة بالفعل لا يتعدّى دور التّوجيه والدّلالة على المعنى المقصود للفعل في التّركيب اللّغويّ؛ فمقصود الفعل ودلالته تختلف من استعمال لآخر، ومن تركيب لآخر، وحروف الجرّ هي من يساعد في تحديد هذا المقصود المعنويّ الدّلاليّ للفعل" (مباركة، 2011، الصفحات 47–48)، وقد تَوسّع في إبانة آراء النّحاة بكلا التّفسيرين.

إلى جانب التّفسير النّحوي السّابق، فإنّ للتّضمين معنى بلاغيّا يُقدّمه على غيره، فهو آت من الإيمان بعدم عبثيّة ألفاظ العربيّة، فلِمَ يُقتَل معنى جديد متولّد من تغيير حرف الجرّ، بعلّة تناوب الحروف حسب؟ أليست العربيّة الأمّ الّتي لا تغفل عن معنى أو لفتة أو لطافة هنا وهناك؟ إذن يكون التّضمين أشمل في التّفسير وأبلغ. وفي هذه القضيّة يقول ابن القيّم قولا جميلا: "ظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه. هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه –رحمه الله تعالى– وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن" (ابن القيم، صفحة 21).

لكن للبعد عن التّكلّف في العربيّة –فهي ترفضه طبيعةً، وكذلكم يُرفَض تفسيرا–، فالأولى ألّا يُفسّر ما اشتهر في الاستعمال بالتّضمين؛ لأنّ العلماء مُجمِعون على أنّ المجاز إن شاع وانتشر خرج من دائرته إلى دائرة الحقيقة، وهو ما يُعرَف بالحقيقة العرفيّة (حسن، صفحة 543).

مثلا، الفعل (شكر) يتعدّى بحرف الجرّ (اللّام)، فلو تعدّى بحرف الجرّ (على) لنقول: "شكرته على حسن معاملته"، لكان ذلكم ممّا يدخل في باب الحقيقة؛ لانتشار مثل هذا انتشارا واسعا، فلا يستغربه السّامع ولا ينكره، إذن لا تضمين. وقد أفرد ابن جنّي لهذا الموضوع بابا، تحت عنوان: (باب في أنّ المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة). (ابن جني، صفحة 449)

إذن، يمكن التّوصّل إلى أنّ التّناوب مبرّر جيّد لما شاع وانتشر في الاستعمال، لكنّه غير ذلكم فيما لم يُؤلَف، فحينئذٍ تُفسّر الحالة بالتّضمين، حفاظا على سلامة اللّغة، وإبرازا لقيمها الجماليّة.

- **التّضمين النّحويّ ونزع الخافض**

نزع الخافض أو ما يُسمّيه بعض العلماء بإسقاط الخافض، وسيلة من وسائل تعدية الفعل اللّازم الثّلاثيّ، وفيه أنّ فعلا لازما يتعدّى بحرف جرّ، يُسقَط منه الجارّ، ليصير متعدّيا بنفسه (حسن)، أو هو "حذف حرف الجرّ من الاسم ممّا يترتّب عليه نصب الاسم الّذي نُزع منه حرف الجرّ" (اللبدي، 1985، صفحة 222).

وبحذف حرف الجرّ تصير الصّلة بين الفعل وما كان مجرورا، فينصبه؛ ولذلكم سُمّي ذا الباب أيضا بالحذف والإيصال، وهذا ممّا قال به المبرّد (المبرّد، 1994).

أمّا المتوجهّون إلى تعليل الظّاهرة بنزع الخافض، فقد رأوا أنّ الأصل في الفعل ألّا يُحمل على غير معناه الأصليّ، إلّا عند وجود ضرورة تضطره للانتقال عن معناه إلى غيره، يقول السّيوطي: "ليس ينبغي أن يحمل فعل على معنى فعل آخر، إلّا عند انقطاع الأسباب الموجبة لبقاء الشّيء على أصله" (السيوطي، 1985، صفحة 101)، واعتبارا لهذه الرّؤية وجّهوا الظّاهرة على نزع الخافض دون اضطرار إلى تضمين الفعل معنى غير معناه.

غير أنّ الرّاجح أنّ النّصب على نزع الخافض سماعيّ، مقتصر على ما انتشر سماعه عن العرب، وذلكم عائد إلى ما يمكن أن يسبّبه حذف الجارّ من لبس وإخلال في المعنى في غير المسموع المنتشر (حسن). ولو لم يكن كذلكم، لجاز أن نقول: "أخذت زيدا"، والمراد: "أخذت من زيد"، وهذا ممّا لا يُستساغ أبدا.

وزيادة على السّابق، فإنّ بعض النّحاة قصر نزع الخافض على الضّرورة فقط، فهذا الصّبّان يقول فيه: "إنه مخصوص بالضّرورة؛ فلا يجوز لنا استعماله نثرًا – أي: في غير الضّرورة الشّعرية ولو في منصوبه المسموع" (الصّبّان، صفحة 131)، إذ يُرى تقييده للمسموع أيضا ليُجيزه شعرا حسب، لا نثرا! ومن قبل، كان لابن مالك وابن الحاجب الرّأي ذاته، من حيث كون نزع الخافض سماعيّا لا يُؤتى إليه إلّا لحاجة (حسن).

على هذا، يكون التّضمين أوسع للقبول، وأدعى للتّأييد، فالمؤمن بأسرار العربيّة لا يرضى بنزع حرف دون أن يعلّله بما يميّزه، بل يرى في كلٍّ بلاغة، ولكلٍّ سببا، خاصّة مَن يسعى إلى تفسير كتاب الله الّذي لا يأتيه العبث من بين يديه ولا من خلفه! فممّن وافق اللّغويّين في قولهم بالتّضمين، ابن القيّم، الّذي ما زال في تفسيراته يُظهر إعجاز القرآن الكريم وجمال بيانه، رافضا ما قد يجعل الكلام عاديّا بلا بلاغة. فيفسّر قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ [الأعراف: 155]، بالتّضمين، لا بنزع الخافض. (ابن القيم)

وكذلكم في تفسيره قول الله –تعالى–:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة:6]، إذ الأصل في الفعل (هدى) أن يكون متعدّيا بحرف، غير أنّه جاء في الآية متعدّيا بنفسه، فأنّى لمؤمن ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه البيانيّ، أن يفسّر الحالة تفسيرا عاديّا بإسقاط الجارّ حسب؟ فيكون تفسيرا لا بلاغة فيه ولا براعة؟

وفي تفسيره الآية الكريمة، يقول إنّ ورود الفعل على أصله، متعدّيا بحرف جرّ، قصور في أداء الرّسالة الّتي يريد أن يوصلها المؤمنون في دعائهم، فتعدّي الفعل بـــ"إلى" يعني وصوله إلى المطلـــب، وتعدّيـــه بـــ"اللّام" يعني تخصيصه للطّلب حسب، بينما تعدّيه بنفسه يجمع غير معنى، إذ يطلب الـــدّاعي معرفـــة الهدى وتبصّره واتّباعه والثّبات عليه (ابن القيم)، ولنقس على هذا في غير ذا الموطن؛ ليكون للعربيّـــة ثراء وغنى!

وبكوْن نزع الخافض مسموعا يأتي اضطرارا في الشّعر حسب –كما رأى علماء كثر–، وبكونه يســـلب اللّغة كثيرا ممّا ينبغي أن تعبّر عنه، ويجعل التّفسير مقصورا على حذف الجارّ، ونصب ما بعده فقـــط، بكونه ذلكم، لجأ العلماء والفقهاء إلى باب التّضمين إذ رأوا فيه مزيد إنصاف للعربيّة.

- **التّضمين وزيادة الحروف**

ممّا اتّفق عليه اللّغويّون، أنّه ما من شيء في العربيّة يأتي هدرا، بل يأتي والمنفعة ملازمة له، والفائـــدة مُقدِمة معه، فإن كان ثَمّ فعل يتعدّى بنفسه دون حاجة إلى جارّ يساعده في تأدية معناه، ثُمّ وُجد ذا الفعـــل متعدّيا بحرف، إن كان؛ فلا بدّ من وجود حاجة دعته إلى أن يخرج عن أصله، ويتعدّى بحرف.

اختلف العلماء في تفسير الظّاهرة السّابقة، فمنهم من رأى أنّ ذا الحرف الطّارئ زيد توكيدا، لكنّه لـــيس من لبّ الجملة، ويمكن الاستغناء عنه. وغيرهم رفض ذا التّفسير؛ لأنّ فيه ظلما للعربيّة الّتي تنأى عـــن الحشو، خاصّة فيما يتعلّق بكلام الله –تعالى– المُنزّه عن كلّ لغو.

أمّا القائلون بزيادة الحروف، فرأوا أنّ الحرف متعلّق بالفعل أو ما في معناه، فيؤدّي معنى لا يتمّ إلّا به، فإن كان ثَمّ حرف ارتبط بفعل دون حاجة حقيقيّة إليه، ودون تعلّق بمعنى يفيده، يكُن زائدا. وفـــي ذلكـــم قال ابن جنّي في شرحه معاني الحرفين (الباء) و(من) إنّهمـــا قـــد يأتيـــان زيـــادةً، ويكـــون "دخولهـــا كخروجها". (ابن جني، صفحة 73)

أمّا ابن هشام فزاد موضّحا سبب كوْن بعض الحروف زائدة، فيقول إنّ الحرف متعلّق بمعنى الفعل، وفي بعض الأحيان لا يكون هناك ارتباط بينهما، فيُزاد الحرف توكيدا لا أكثر، بالتّالي يمكن الاستغناء عنه، يقول: "معنى التّعلُّق الارتباط المعنويّ، والأصل أنّ أفعالا قصرت عن الوصول إلى الأسماء؛ فأُعينت على ذلك بحروف الجرّ، والزّائد إنّما دخل في الكلام؛ تقوية له وتوكيدا، ولم يدخل للرّبط". (ابن هشام، 1985، صفحة 575)

لكنّ فريقا عارض ما جاء به المتقدّمون، ليتبنّى فكرة أخرى، وهي التّضمين، فالتّعليل السّابق جليّ بإفادته عدم الحاجة التّامّة إلى الحروف المزادة، إذن، لمَ زيدت؟ وما الدّاعي للإتيان بها إن كان دخولها كخروجها؟ لا بدّ من تفسير أكثر منطقيّة، وأقرب إلى إيفاء العربيّة حقّها، وتنزيهها عن التّرف في خروجها عن الأصل، وقد رأى ذلكم المؤيّدون للتّضمين في تفسيرهم، رأوه أقوم وأقسط.

أصحاب التّفسير بالتّضمين يقولون إنّ "الجملة كلٌّ متكامل، كلّ ما فيها له علاقة في أداء المعنى المراد، وبالتّالي فليس من الصّواب القول إنّ خروجها وعدمه واحد في التّركيب...؛ لأنّ دائرة التّركيب مرتبطة ارتباطا وثيقا بدائرة المعنى المراد" (حامد، صفحة 121)، فما دامت الكلمة وُجدت في الجملة، فإنّما وُجدت لغرض وُضعت له، سواءٌ في هذا الكلمات كلّها، أكانت اسما أم فعلا أم حرفا، فلمَ يكون وجودها وغيابها واحدا؟

وإن كان ثَمّ قاعدة عامّة، بأنّ كلّ زيادة في مبنى الكلمة يقابلها زيادة في معناها، فليس بإمكان الكلمتين (جلس) و(جالس) أن تؤدّيا المعنى ذاته، ولا يمكن لإحداهما أن تنوب عن الأخرى، فمن باب أولى أن تُعامَل الجملة بأركانها بالمنطق نفسه الّذي تُعامَل به الكلمة الواحدة، فلا بدّ للزّيادة فيها حاجة ما كانت لتتمّ لو حُذفت، فالفعل (ألقى) متعدٍّ بنفسه أصلا، غير أنّ الله -تعالى- قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، فعدّى الفعل بحرف جرّ، فهل يُستغنى عن الحرف لأنّه زائد؟ لا يمكن. بل أوجده -تعالى- في هذه الآية اختصارا، بتضمين الفعل معنى فعل آخر؛ إذ جاء في تفسير الآية الكريمة: "لا

تلقوا مُضمّن معنى: لا تفضوا. وقيل: حذف المفعول والباء للسّببيّة، أي: لا تلقوا أنفسكم بسبب أيـــديكم" (المرادي، 1992، صفحة 52)، وفي الموطن السّابق يخطّ المرادي خلاصة رأيه في زيادة الحـــروف، فيقول: "والمختار أن ما أمكن تخريجه على غير الزيادة، لا يحكم عليه بالزيادة، وتخريج كثير من هـــذه الشواهد ممكن، على التضمين، أو حذف المفعول".

كما أنّ الحرف إن لم يؤدِّ معنى مرتبطا بالفعل ارتباطا وثيقا، فإنّه يختصر كلاما كثيرا وكأنّه أدّى معناه، فبدلا من أن يُقال: "ما حضر أحد، أبدا، قطعا..."، نقول: "ما حضر من أحد"؛ فجـــيء بحـــرف (مـــن)؛ توكيدا واختصارا للظّروف الّتي تعبّر عمّا عبّر عنه ذا الحرف. فإن حُذِف؛ بحجّة زيادته، لم يتمّ للجملة معناها الّذي يُرغَب في إيصاله. وذلكم رأي ابن جنّي، إذ رفض القول بالزّيادة رفضا قاطعـــا، ويـــرى حذف الحروف (المزيدة) إنقاصا منها، إذ يقول: "فإذا كانت هذه الحروف نوائب عمّا هو أكثر منها مـــن الجمل وغيرها، لم يجز من بعد ذا أن تتخرّق عليها، فتنتهكها وتجحف بها". (ابن جني، صفحة 276)

وقد اصطفّ إلى جانب اللّغويّين، الفقهاء ومفسّرو القرآن الكريم، الّذين رأوا في التّعليل بزيادة الحـــروف قلّة تنزيه لكلام الله –تعالى– عن اللّغو، إذ لا تأتي كلمة في القرآن الكريم إلّا لها موقعها الّذي لا ينافسها فيه شيء آخر، فأنّى لكلمة أن تأتي مزيدة فيه؟ ويرفض ابن القيّم التّفسير بزيادة الحروف أبدا، إذ يقـــول عند شرحه قوله –تعالى–: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾[آل عمران:159]، إذ كانت (مـــا) زائـــدة عند البعض، ورأوا أنّ تأويل الآية: "فبرحمة من الله لنت لهم"، يقول: "أي ما لنت لهم إلّا برحمة من الله، ولا تسمع قول من يقول من النّحاة إنّ ما زائدة في هذه المواضع فإنّه صادر عن عدم تأمّل" (ابن القـــيم، صفحة 151)، فيرى أنّ (ما) أدّت معنيين، النّفي والإيجاب.

ختاما، القول بزيادة الحروف قد يكون إجحافا بالعربيّة الّتي تُثبت في كلّ تأمّل لنصوصها القيّمة، القرآن الكريم والحديث الشّريف وأشعار المتألّقين، أنّها غنيّة بمعاني ألفاظها، ويصعُب إطلاق القول إنّا قادرون على الاستغناء عن كلمة منها أو حذفها، والأولى دائما تنزيهها لكونها لاقت، لغةً مكرّمةً، بكتـــاب الله – سبحانه– الأعظم.

الفصل الثّاني

التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

مقدّمة

تناولت الباحثة فيما سلف الحديث عن ارتباط التّضمين النّحويّ بقضيّتي الأصل والفرع، واللّزوم والتّعدّي. وبناء على تلكم العلاقة، فإنّ للتّضمين أقساما منوَّعة في الشّواهد النّحويّة، وفقا لأصل الأفعال أو ما في معناها الّتي وقع فيها التّضمين من اللّزوم والتّعدّي.

وحسبما سبق في الفصل الأوّل، فإنّ حالةً جديدةً تطرأ على الفعل أو ما في معناه، وقد تُفَسِّر تلكم الحالة بالتّضمين. فالأفعال من حيث اللّزوم نوعان، لازمة قاصرة بلا حرف، وأخرى متعلّقة بحرف جرّ. والتّضمين قد يقع في هذه الأفعال اللّازمة ذاتها، فما كان منها أصلا غير محتاج حرف جرّ، يأتي مرّة متعلّقا بحرف، أو العكس. أو قد يكون الفعل اللّازم متعلّقا بحرف جرّ ويأتي في حالة متعلّقا بحرف جرّ آخر. كما يقع التّضمين بين الأفعال اللّازمة والمتعدّية. فالمتعدّي بنفسه قد يتعدّى بحرف جرّ أو العكس، أو ما كان منها متعدّيا بنفسه إلى مفعول واحد قد يتعدّى إلى مفعولين. أمّا معرفة أصل هذه الأفعال، فقد تطرّقت الباحثة في الفصل الأوّل أيضا إلى طرق معرفة أصلها في الاستعمال اللّغوي.

وهذا التّغيّر في أحوال الأفعال وما في معناها يشكّل أقساما من التّضمين، ليست على وتر واحد، وكلّها بحاجة إلى تعليل وتفسير؛ كي تُبرَّر حالة خروج الأصل عن الفرع.

وفي هذا الفصل، تناولت الباحثة أقسام التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد، بطريقة إحصائيّة تحليليّة. وكانت هذه الأقسام في شواهد بشّار خمسة، على النّحو الآتي:

المبحث الأوّل: تضمين الفعل المتعدّي بنفسه أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف جرّ

قال بشّار في الغزل:

لمّـــــا شـــــعَبتُ علـــــى الوُشـــــا ةِ وغُصْـــنُ [غـــضّ] نـــاظرِك الشّـــعُوبْ

(بن برد، 2007، صفحة 199) (مجزوء الكامل)

الفعل (شعب) يأتي في أصله متعدّيا بنفسه، فقد جاء في لسان العرب مـــا نصّـــه: "الشّـــعْبُ: الجَمـــعُ، والتّفْريقُ، والإِصلاحُ... شَعَبَه يَشْعَبُه شَعْباً، فانْشَعَبَ، وشَعَّبَه فَتَشَعَّب" (ابن منظور، 1414هـــ، صـــفحة 497) إلّا أنّ بشّارا جاء به متعدّيا بحرف الجرّ (على)، راغبا في تضمينه معنى فعل آخر.

وقد أورد ابن منظور بيتا جاء الفعل فيه على أصله:

وإذا رأَيـــتَ المـــرْءَ يَشْـــعَبُ أَمْـــرَهُ شَـــعْبَ العَصـــا، ويَلِـــجُّ فِـــي العِصْـــيان

ومجيء الفعل على غير أصله، متعدّيا بحرف (على) يحمل معنى الفعل الظّاهر (شعب)، ويتضمّن معنى الفعل (أغلظ)، الّذي يتعدّى بـــ(على)، وقد دلّ على تعدّيه بالحرف المذكور ما أورده ابن منظـــور: "قَـــدْ غلّظَ عَلَيْهِ وأَغْلَظ وأَغْلَظ لَهُ" (ابن منظور، 1414هـــ، صفحة 449)، وجاء على الأصل قوله –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التّوبة: 73]. فتضمين الفعل (شعب) معنـــى الفعل (أغلظ) يجعل تقدير الكلام: شعبتُ الوشاة مغلظا عليهم. ووجه الغلظة عدم احتمال بشّـــار رؤيـــة محبوبته وقد أنهكها مرض الهوى، والوشاة ما زالوا يتعقّبونهما.

كما أشار ابن عاشور في شرحه إلى التّضمين في هذا البيت، إذ يقول: "شعب: صرف وكـــفّ، وعـــدّاه بعلى لتضمينه معنى أغلظ" (ابن برد، 2007، صفحة 199).

يقول متغزّلا:

تمنّـــى هـــوى "سُـــعْدى" مُشـــيدا لحُبِّهـــا كـــأنْ لا تَـــرى أنَّ المَفـــارِقَ شِـــيبُ

(بن برد، 2007، صفحة 214) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (أشاد) في الاستعمال اللّغويّ متعدّيا بنفسه، أو بحرف الجرّ (الباء)، ففي لسان العرب: "شود: أَشاد بالضّالّة: عَرَّفَ. وأَشَدْتُ بِهَا: عَرَّفْتُها. وأَشَدْتُ بالشيءِ: عَرَّفْتُه. وأَشادَ ذِكْرَه وبِـذِكْرِه: أَشـاعَه... وأَفْرَدَ بِهِ الْجَوْهَرِيُّ الخيرَ فَقَالَ: أَشاد بِذِكْرِهِ أَي رَفَعَ مِنْ قَدْرِه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 243).

إلّا أنّه ورد في شعر بشّار متعدّيا بحرف (اللّام)، لتضمّنه معنى الفعل (انقاد)، في اللّسـان: "والانقيـادُ: الخُضوعُ. تَقُولُ: قُدْتُهُ فانقادَ واستقادَ لِي إِذا أَعطاك مَقادتَه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 370).

ففي البيت السّابق، عتاب يوجّهه ناصح إلى بشّار، بعدما رأى إعراض سعدى عنـه، ووعـدها كـذِبا، بلقائه، وما زال بشّار مصرّا على حبّها معرّفا النّاس كلّهم به، غير مكترث بما فعلت به وأكاذيبها وكأنّه في حالة انقياد تامّ لها ولحبّها! وبهذا يكون تقدير كلامه: تمنّى هوى سعدى مشيدا بحبّها منقادا له.

قال في النّسيب بسلمى:

وصـــاحبٍ ضَـــامَنِي وَضِـــمْتُ لَـــهُ نَفْسِـــي لِيَرْضَـــى فَـــراحَ يَلْتَهِـــبُ

(بن برد، 2007، صفحة 218) (بحر السّريع)

الفعل (ضام) يتعدّى بنفسه، في الأصل اللّغويّ؛ جاء في لسان العرب: "وَضَامَهُ حَقّه ضَيْماً: نَقَصه إِيّـاهُ" (ابن منظور، 1414ه، صفحة 359). وجاء الفعل الأوّل من بيت بشّار على الأصل (ضامني)، وكـذلكم في بيت أبي تمّام (الآمدي، صفحة 493):

تغـــدو الرِيـــاحُ [سَـــوافيًا] وعَوافيًـــا فَتَضـــيمُ مَغناهـــا وَلَـــيسَ تضِـــيمُها

أمّا مجيئه ثانيةً في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (اللّام)؛ فعائد إلى تضمّنه معنى الفعل (وهب) الّذي يتعدّى بحرف (اللّام)، ففي المحكم: "وَهَبَ لَك الشّيْء يَهَبُه وَهْباً ووَهَباً" (ابن سيده، 2000، صفحة 439) ودليله من القرآن الكريم قول الله –تعالى–: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ تَعُدُّوا۟ [إبراهيم:39].

فالشّاعر يشكو بُعد محبوبته بعدما تزوّجت وفارقته، ويطلب منها أن تجود بوصال؛ فليس بقادر أن يحبّ غيرها، على الرّغم من ظلمها إيّاه. وفي البيت يعرّض بها قائلا إنّها ضامته، وهو ضام نفسه واهبا إيّاها لها، ومع هذا تبتعد غاضبة.

قال في الغزل أيضا:

لَا أَشْتَهِي بِهَوَاهُ جنّةً أُنُفًا ولَوْ تَدلّتْ لَنَا تِينًا وأعْنابا

(بن برد، 2007، صفحة 234) (البحر البسيط)

يتعدّى الفعل (اشتهى) بنفسه، ففي لسان العرب: "وشَهِيَ الشيءَ وشَهاهُ يَشْهاهُ شَهْوَةً واشْتَهَاهُ وتَشَهّاهُ: أَحَبّه ورَغِب فِيهِ. قَالَ الأَزهري: يُقَالُ شَهِيَ يَشْهَى وشَهَا يَشْهُو إِذا اشْتَهَى، وَقَالَ: قَالَ ذَلِكَ أَبو زَيْدٍ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 445). وفي قوله –تعالى–: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ [الزخرف:71]، جاء الفعل على أصله.

إلّا أنّ بشّارا عدّاه بحرف (الباء)؛ وذلكم لما يتضمّنه من معنى فعل الاستبدال، إذ يتعدّى الفعل (استبدل) بحرف (الباء)، ودليله ما جاء في اللّسان: "تَبَدّل الشيءَ وتَبَدّلَ بِهِ واسْتَبْدَلَهُ واسْتَبْدَلَ بِهِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 48)، ويقول الله –سبحانه– على الأصل:﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ

بِٱلَّذِى هُوَ خَيۡرٌ﴾[البقرة:61]، فهو يفضّل حبّها على جنّة ذات أعناب، ولا يشتهي شيئا منها، ولا يستبدل بهواه نعيما آخر. فيكون تقدير الكلام: لا أشتهي الجنّة مستبدلا إيّاها بهواها!

وهذه اللّفتة قد أشار إليها ابن عاشور في شرحه، إذ يقول: "ضمّن (أشتهي) معنى (أستبدل)، فلذلك علّقه بالباء بمفعول ثان" (ابن برد، 2007، صفحة 234).

قال في قصيدة هجاء:

يَرْمونَ قَلْبي بِأَسْحارٍ وَأَمْحَقُهَا عَنِّي بِحَرْفٍ مِنَ القُرْآنِ مَكْتوبِ

(بن برد، 2007، صفحة 286) (البحر البسيط)

يأتي الفعل (محق)، في الاستعمال اللّغويّ متعدّيا بنفسه، ودليله ما ورد في الصّحاح: "مَحَقَهُ (1) يَمْحَقَهُ مَحْقاً، أي أبطله ومحاه" (الجوهري، 1987، صفحة 1553)، وخير شاهد على الأصل، قوله –تعالى–: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:276]، وفيه يقول أبو تمّام كذلكم: (الآمدي، صفحة 186)

كَأَنَّ أَمْوَالَهُ والبَذْلُ يَمْحَقُها نهبٌ تعسفهُ التبذيرُ أو نفلُ

فمجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (عن) مخالفا الأصل، عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (أبعد)، فالشّاعر يبطل هذه الأسحار مبعدا إيّاها عنه مستعينا بالقرآن الكريم. فيكون تقدير كلام بشّار: أمحقها مبعدا إيّاها عنّي بالقرآن الكريم. وجاء في البيت ضمن قصيدة هجاء أقذع فيها على قوم لم يُسَمِّهم.

قال مفتخرا بنفسه:

سيكْفي فَتى مِن شِيعَةٍ حدٌّ سَيْفِه وكُورٌ عِلَافيٌّ ووجْناءُ ذِعْلِبُ

(ابن برد، 2007، صفحة 314) (بحر الطويل)

يأتي الفعل (كفي) متعدّيا بنفسه؛ جاء في لسان العرب: "وَيُقَالُ: استَكْفَيْته أَمْراً فكَفانِيه. وَيُقَالُ: كَفاك هَـذَا الأَمرُ أَي حَسْبُك، وكَفَاكَ هَذَا الشّيْءُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 225)، وقد جاء الفعل على أصله في آيات قرآنيّة كثيرة، منها قوله –تعالى–: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:137]، وقولـه:﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[آل عمران:124].

غير أنّ مجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (من)، يفيد تضمّنه معنى الفعل (حمى) الّذي قد يتعدّى بحرف الجـرّ (من)، يقول ابن سيده: "وحَماه من الشّيْء وحَماه إِيّاه" (ابن سيده، 2000، صفحة 453). فيكون تقـدير الكلام: سيكفي الفتى حدُّ سيفه حاميا إيّاه من الشّيعة (الجماعة). ويقصد بالفتى نفسه؛ إذ كان غاديا وحده إلى مواجهة، وطلبت منه زوجته ألّا يذهب منفردا؛ خوفا عليه، لكنّه يرى سـيفه كافيـه وحاميـه مـن الخصوم، وهو بذلكم يبرز شجاعته وعدم حاجته إلى الجماعة لينتصر، بل هو بسيفه جيش وحده.

واكتفى ابن عاشور في تخريج هذه اللّفتة، بحملها على التّناوب، إذ يقول: "و(من) بمعنى (عـن).... أي سيفي يغنيني عن الشّيعة". (ابن برد، 2007، صفحة 314)

قال في المديح:

رَزِيـنُ حَصَـاةِ العِلْـمِ لا يَسْـتَخِفُّهُ أَحَادِيـثُ يَسْـتَوْعي عَلَيْهـا المُعيّـبُ

(بن برد، 2007، صفحة 320) (بحر الطّويل)

أصل الفعل (استوعى) في الاستعمال اللّغويّ أن يكون متعدّيا بنفسه، ففي لسان العرب: "واسْـتَوْعاه إِذا استَوْعَبه" (ابن منظور، 1414ه، صفحة 396). ومجيئه مغايرا للأصل، يفيد تضمّنه معنى فعل آخـر، وهو (يوطّن).

فالشّاعر يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك، بحلمه وحكمته وطلاقته، نافيا عنه تماشيه مـع سـخافة يوطّن نفسه عليها المعيِّب، وينساق إليها. فمجيء الفعل (استوعى) متعدّيا بحـرف الجـرّ (علـى) أدّى

معنيين، معنى استيعاب الشّيء وتوطين النّفس عليه، فالفعل (وطّن)، يتعدّى بحرف الجرّ (علـــى)، ففـــي محكم ابن سيده جاء: "ووَطّنَ نَفسْهَ على الشّيْءِ، وله، فَتَوطَتْ: حَمَلَها عليه فتحمّلتْ، وذَلّتْ لـــه" (ابـــن سيده، 2000، صفحة 240).

فيكون تقدير الكلام: لا يستخفّه أحاديث يستوعيها موطّنا نفسه عليها.

قال يصف فرسه:

وَإِذَا مَـــا جَـــرَى لِيُـــدْرِكَ شَـــيْئًا فَاتَـــهُ وَانْتَحَـــى بَـــهِ الْـــإِدَاب

(بن برد، 2007، صفحة 351) (بحر الخفيف)

يأتي الفعل (انتحى) متعدّيا بنفسه، فقد جاء في لسان العرب: "النّحْوُ: القَصدُ والطّرِيقُ... نَحـــاه يَنْحُـــوه ويَنْحاه نَحْواً وانْتَحاه، ونَحْوُ الْعَرَبِيّةِ مِنْهُ" (ابن منظور، 1414هـــ، صفحة 310). وفي التّـــاج: "نَحَـــى (الشّيءَ) } يَنْحاه {نَحْياً: (أَزالَهُ؛} كنَحَاهُ)، بالتّشْديدِ، ({فَتَنَحّى)" (الزبيدي، 2001، صفحة 47).

غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، لتضمّنه معنى الفعل (ألمّ) الّذي يتعدّى بحرف البـــاء، ففي الصّحاح: " وقد ألَمَّ به، أي نَزَل به" (الجوهري، 1987، صفحة 2032). وفيه يقول أبـــو العـــلاء المعرّي (المعرّي، 1983، صفحة 451):

فَـــالمَيْنُ مَيْتَـــةُ مُضْـــطَرٍّ أَلَـــمَّ بِهَـــا، وَالْحَـــقُّ كَالْمَـــاءِ يُجْفَـــى خِيفَـــةَ السِّـــقَمِ

فيصير تقدير الكلام: انتحى ملمّا به التّعب.

يقول مفتخرا:

أَنَـــا المُرَعَّـــثُ لَـــا أَخْفَـــى عَلَـــى أَحَـــدٍ ذرّتْ بِـــي الشّـــمْسُ لِلـــدّانِي وَلِلنّـــائِي

(بن برد، 2007، صفحة 148) (بحر البسيط)

يتعدّى الفعل (ذرّ) بنفسه، ففي لسان العرب: "ذَرَّ الشيءَ يَذُرُّه: أَخذه بأَطراف أَصابعه ثُمَّ نَثَرَهُ عَلَى الشَّيْءِ. وذَرَّ الشيءَ يَذُرُّهُ إِذا بَدَّدَهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 303). إلّا أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، وذلكم عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (ألقى)، الّذي يتعدّى بالحرف ذاته. جاء في لسان العرب: "وأَلْقَيْتُه أَي طَرحته. تَقُولُ: أَلقِه مِن يدِك وأَلق بِهِ مِنْ يَدِكَ، وأَلقَيْتُ إِلَيْهِ الْمَوَدَّةَ وبالمودّةِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 257) ومصداق ذلكم قوله –تعالى–: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:195].

فالشّاعر، وقد لقّب نفسه في البيت بالمرعّث، يقول مفتخرا بشهرته: إنّ الشّمس ذرّته ملقية به ليعرفه مَن في الأرض!

يقول في النّسيب بعبدة:

ومَا أَنْسَ مِمَّا أَحْدَثَ الدّهْرُ لِلْفَتَى وأيّامُه اللّاتِي عَلَيْهِ تنُوبُ

(بن برد، 2007، صفحة 207) (بحر الطّويل)

الفعل (ناب) يتعدّى بنفسه، فنقول: "نابَ الأَمْرُ نَوْباً ونَوبةً: نزلَ. ونابَتْهم نَوائبُ الدَّهْر" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 774). لكنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (على)؛ لأنّه تضمّن معنى الفعل (تكالب)، فالكلام يُقدَّر بقولنا: نابت الفتى الأيّامُ متكالبةً عليه.

وتعدّي الفعل (تكالب) بحرف الجرّ (على) دلّل عليه لسان العرب، إذ جاء فيه: "والمُكالَبةُ: المُشارَّة وكَذَلِكَ التَّكَالُبُ؛ يُقَالُ: هُمْ يَتَكَالبُونَ عَلَى كَذَا أَي يَتَواثَبُون عَلَيْهِ". (ابن منظور، 1414ه، صفحة 724)

وفي البيت أداة الشّرط (ما) وفعلها، أمّا جوابها ففي البيت التّالي، ويقول فيه:

فَلَسْتُ بِنَاسٍ مِنْ رُضَابِكِ مَشْرِبًا وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوْبُ

وهو ناظمٌ البيتين في قصيدة يرجو فيها رؤية سعدى الّتي نأت عنه، فيقول في موطن الشّاهد، إنّــه قــد ينسى كلّ يوم نابه متكالبا عليه، غير أنّه لا ينسى مشرب رضابها! وفي هذا لا بدّ، إبراز لتعلّقــه بهــا وشدّة حبّه لها.

يقول متغزّلا بخشّابة:

تَمَنّــاكِ حَتَّــى صِــرْتِ وَسْــوَاسَ قَلْبِــهِ وَعَاصَــى إِلَيْــكِ الصَّــالِحِينَ تَجَنُّبَــا

(بن برد، 2007، صفحة 238) (بحر الطّويل)

يتعدّى الفعل (عاصى) بنفسه؛ جاء في تاج العروس: "يقالُ (عَصاهُ {يَعْصِيه} عَصْياً، بالفَتْح، {وعِصْياناً}) ومَعْصِيَةً، فَهُوَ عاصٍ؛ خَرَجَ عَن طاعَتِه. {وعَصَى العَبْدُ رَبَّه: خالفَ أَمْرَه. (وعَاصاهُ {مُعاصــاةً (فَهُــوَ} عاصٍ... لم يُطِعْهُ" (الزبيدي، 2001، صفحة 58)، وعلى الأصل، جاء قول أبي فــراس الحمــدانيّ، إذ يقول: (الحمداني، 1994، صفحة 168)

لا أُعَاصِــيهِ فــي اجْتِــرَاحِ المَعَاصِــي، فــي هَــوَى مِثْلِــهِ تَطِيــبُ النّــارُ

إلّا أنّ الفعل جاء في بيت بشّار على غير أصله، متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وذلكم لتضمّنه معنى الفعــل (توجّه) الّذي يتعدّى بالحرف ذاته، إذ جاء في لسان العرب: "وتَجَهْتُ إِلَيْكَ أَتْجَهُ أَي توجهتُ... وتوَجَّــه إِلَيْهِ: ذَهَبَ" (ابن منظور، 1414هــ، صفحة 556). فيصير تقدير الكلام: عاصى الصّــالحين متوجّهــا إليك.

والبيت خطاب موجّه إلى محبوبته (خشّابة)، وقد تزوّجت وتركته، يعبّر فيه بشّار عن شوقه إليها وتوقه إلى رؤيتها، وقد كان النّاصحون أرشدوه إلى تركها والبعد عنها، غير أنّه لا يأبه بوعظهم، وليس لهــم على هواه سلطان؛ فعاصاهم متوجّها إليها!

قال في غزله بحبّاء:

قُـــلْ "لِحُبّـــاءَ": إنْ تَعِيشِـــي فَمُـــوتِي سَـوْفَ نَرْضَـى لـكِ الّـذي قـدْ رضِـيتِ

(بن برد، 2007، صفحة 3) (بحر الخفيف)

الأصل في الفعل (رضي) أن يتعدّى بنفسه؛ جاء في لسان العرب: "رَضِيتُ الشـيءَ وارْتَضَـيْتُه، فَهُـوَ مَرْضِيٌّ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 324)، وكذلكم يتعدّى بحرفي الجرّ (عن) و (البـاء)، ففـي تعدّيه إلى حرف (عن)، يقول ابن منظور: "ورَضِيتُ عَنْكَ وعَلَيْكَ رِضىً" (ابن منظـور، 1414هـ، صفحة 323)، وفي تعدّيه إلى الباء جاء في المعجم ذاته: "وَيُقَالُ: رَضِيتُ بِهِ صـاحِباً" (ابـن منظـور، 1414هـ، صفحة 324). وفي التّرتيب، جاءت آيات الله –تعالى– موافقة الأصل، فيقـول –تعـالى–: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[البقرة:144]. ويقول في تعـدّيها إلـى حرف الجرّ (عن): ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[المائدة:119]، أمّا في حرف (الباء) فجاء قولـه سـبحانه: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التّوبة:38].

أمّا مجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (اللّام) فلتضمّنه معنى الفعل (خار– اختار)، الّذي قد يتعدّى بحرف الجـرّ (اللّام)، فقد ورد في معجم العين: "والله يَخيرُ للعبد إذا استَخارَه. وتقول: هذا وهذه وهـؤلاء (خِيَرَتـي، وهو ما تختاره" (الفراهيدي، صفحة 301).

وتوافق تركيب الفعل في بيت بشّار مع قـول الله –تعـالى–: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[المائدة:3]، وفي تفسير الآية الكريمة يقول الزّمخشريّ: "وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً يعنى اخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده" (الزمخشـري،

1987، صفحة 605)، فتضمّن الفعل (رضي) معنى الفعل (اختار)، وبهذا يكون تقدير الكلام: سوف نرضى بما اخترت، ونختاره لك.

وفي شرح البيت قال ابن عاشور: "وقوله "سوف نرضى لك..." الخ أي نحبّ لك، ما أحببته لنا" (ابن برد، 2007، صفحة 3).

يقول في الغزل:

حَتّى أَدَلَّتْ بَلْ ثَنَى لُبّهَا عَنّي مَقَالُ الكَاشِحِ المُفْسِدِ

(بن برد، 2007، صفحة 125) (بحر السّريع)

الفعل (ثنى) متعدّ بنفسه، ويدلّ على ذلكم ما جاء في الصّحاح: "ثناه، أي كفه... وثَنَيْتُهُ أيضاً: صرفته عن حاجته" (الجوهري، 1987، صفحة 2295). وقال الله –تعالى– على الأصل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾[هود:5].

أمّا بشّار، فقد جاء بالفعل متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، وذلكم عائد لما يتضمّنه من معنى الفعل (صرف) المتعدّي بحرف الجرّ (عن) طبيعةً، ففي لسان العرب: "وصَارَفَ نفْسَه عَنِ الشّيْءِ: صَرَفَها عَنْهُ" (ابن منظور، 1414ه، صفحة 189). وفي القرآن الكريم، جاء الفعل متعدّيا بحرف (عن) بآيات كثيرة، منها قول الله –سبحانه–: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾[آل عمران:152].

فالشّاعر في القصيدة مشتاق إلى محبوبته عبدة، غير أنّ الوشاة نقلوا لها كلاما كذبا على لسانه، فتبرّمت في حبّه، بل كان منها ما هو أصعب من التّبرّم، وهو الثني والانصراف كلّيا عنه. فيكون تقدير الكلام: ثنى مقالُ العدوّ لبّها صارفا إيّاه عنّي.

يقول في النّسيب بجوهر الدّر:

ذَهَبَـــتْ نَظْرَتـــي إِلَيْـــكِ بِنَفْسِـــي وَنَمَـــى الحُـــبُّ عـــنْ فُـــؤادي فَبَاحَـــا

(بن برد، 2007، صفحة 93) (بحر الخفيف)

الأصل في الفعل (نمى) أن يتعدّى بنفسه؛ لما جاء في لسان العرب: "وَإِنَّمَا نَمَى مُتَعَـدٍّ، يُقَـالُ: نَمَيْـت الْحَدِيثَ أَي رَفَعْتُهُ وأَبلغته. ونَمَيْتُ الشيءَ عَلَى الشَّيْءِ: رَفَعْتُهُ عَلَيْهِ. وكُلُّ شَيْءٍ رَفَعْتَـهُ فَقَـدْ نَمَيْتَـه... وتَقُولُ نَمَيْتُ الحديثَ إِلَى غَيْرِي نَمْياً إِذا أَسندته ورَفَعْتَهُ". (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 342)

أمّا مجيئه في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (عن)؛ فعائد إلى تضمّنه معنى الفعل (نقل) ليكـون تقـدير الكلام: نمى الحديث إلى النّاس، ورفعته إليهم، ناقلا إيّاه عن فؤادي.

وقد قال ابن عاشور في شرح البيت: "(نمى) أي نقل الحديث عن فؤادي" (ابن بـرد، 2007، صـفحة 93).

يقول مادحا:

إِلَيْـــكَ طَلَبْنَـــا يَـــا وَلِيـــدُ وَإِنَّمَـــا طَلَبْنَـــا يَـــدًا مِثْـــلَ السَّـــمَاءِ تَجُـــودُ

(بن برد، 2007، صفحة 44) (بحر الطّويل)

يتعدّى الفعل (طلب) بنفسه، في الاستعمال اللّغويّ، ففي التّـاج: "(طَلَبَـه) يَطْلُبُـهُ" (الزّبيـدي، 2001، ص274)، وأشار صاحبا التّاج واللّسان إلى التّركيب (طلب إلى)، إذ يقول ابن منظور: "طَلَبَ إِلَيَّ طَلَباً: رَغِبَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 560)، ويقول الزّبيديّ: "طَلَب (إِلَيَّ) طَلَباً: (رَغِـبَ) وقَـالُوا: طَلَبَ إِلَيْهِ: سَأَلَه" (الزبيدي، 2001، صفحة 274). غير أنّ الأخير استدرك قائلا: "وقِيلَ: طَلَبَـه رَاغِبـاً إِليه؛ لأَنَّ الجُمْهُورَ عَلَى أَنَّ طَلَبَ لَا يَتَعَدَّى بالحَرْفِ فخَرَّجُوا مِثْلَه على التّضْـمِينِ، كَـذَا قَـالَ شَـيْخُنَا"

(الزبيدي، 2001، صفحة 274). وقد أخذ بذا الرّأي ابن عاشور في شرحه البيت السّابق، فيقول: "ضمّن طلب معنى رحل فلذلك عدّاه بإلى" (ابن برد، 2007، صفحة 129).

وبناء على توجيه الزبيديّ في الأعلى، توجّه الباحثة البيت إلى التّضمين كذلكم؛ ليكون تقدير الكلام: طلبناك راحلين إليك.

يقول في مديح الخليفة المهديّ:

جَـــزَى اللهُ مَهْـــدِيَّ الصَّـــلاةِ كَرَامَـــةً لَقَدْ فَلّ عَـنْ دِينِـي وَخَفّـفَ مِـنْ ظَهْـرِي

(بن برد، 2007، صفحة 287) (بحر الطّويل)

الأصل في الفعل (فلّ) أن يأتي متعدّيا بنفسه، بمعنى (هزم)، ففي لسان العرب: "وفَلّ القومَ يفُلُّهم فَلّا: هَزَمَهُمْ فانفَلُّوا وتَفَلَّلُوا" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 530).

إلّا أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (عن) لتضمّنه معنى الفعل (دافع)، فقد جاء في توضيحه: "دافَع عَنْهُ بِمَعْنَى دفَع، تَقُولُ مِنْهُ: دفَع اللّهُ عَنْكَ المَكْروه دَفْعاً، وَدَافَعَ اللهُ عَنْكَ السُّوء دِفاعاً. واسْتَدْفَعْتُ اللهَ – تَعَالَى– الأَسواء أَي طَلَبْتُ مِنْهُ أَن يَدْفَعَها عَنِّي".(ابن منظور، 1414هـ، صفحة 87) وبهذا يكون تقدير الكلام: فلّ نفسي مدافعا عن ديني.

ونظم بشّار البيت ضمن قصيدة يمدح فيها الخليفة المهديّ، ولقبّه بـ(مهديّ الصّلاة)، لارتباط الخلفاء بها، وفي البيت يشكر للمهديّ منعَه إيّاه من الغزل والتّشبيب بالنّساء؛ فبذلكم صحا قلبه واتّزن، وهزم نفسه مشتهيةَ السّوءِ دفاعا عن دينه.

وابن عاشور قد وضّح في شرحه، المعنى السّابق؛ إذ يقول: "وفلّ عن ديني بمعنى دافع، لأنّ حقيقة الفلّ الهزم. والتّقدير: هزم المحاربين ديني أي هزم نفسي الأمّارة دفاعا عن ديني، وذلك حين نهاها عن ذكر النّساء" (بن برد، 2007، صفحة 287).

البمحث الثّاني: تضمين الفعل اللّازم أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف

يقول في النّسيب:

أَلَـــا أَيّهَـــا الْقَلْـــبُ الّـــذِي أَدْبَـــرَتْ بِـــهِ سُـــعَادُ بنِـــي بَكْـــرٍ، أَلَسْـــتَ تُنِيـــبُ

(بن برد، 2007، صفحة 213) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (أدبر) في الاستعمال اللّغويّ لازما، ففي أســاس البلاغــة: "أدبــر النهــار ودبــر دبــوراً" (الزمخشري، 1998، صفحة 277). وفيه يقول –جلّ وعلا–:﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣﴾[المدّثر: 23].

غير أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)؛ وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (أضرّ) الّذي قد يتعدّى بحرف الجرّ (الباء)، جاء في محكم ابن سيده: "ضَرَّه يَضُرُّه ضراً وضَرَّ به وأضَرَّ بِه" (ابــن سيده، 2000، صفحة 148). وجاء الفعل على أصله في قول الخنساء (الخنساء، 2004، صفحة 111):

فـــابْكي أخـــاكِ لأيْتـــامٍ أضَـــرّ بِهِـــمْ رَيْـــبُ الزّمـــانِ، وكـــلُّ الضَّـــرّ يغشـــاني

وبشّار جاء في البيت ضمن قصيدة نسيب بسعدى، وقد تركته، وما زال يطلب منها وصلا ومــا زالــت تصدّه، فيخاطب قلبه ألّا يسعى إليها، وهي الّتي أدبرت ضارّة به!

قال في مديح داود بن حاتم:

وَإِذَا الْخُطُـــوبُ تَقَنّعَـــتْ عَـــنْ لَـــاقِحٍ تَـــدعُ الـــذّلِيلَ لِنَسْـــرِه وَغُرَابِـــه

(بن برد، 2007، صفحة 309) (بحر الكامل)

يأتي الفعل (تقنّع) لازما حينا، إذ جاء في تاج العروس: "تَقَنّعَتِ المَرْأَةُ: لَبِسَتِ القِنَـاعَ" (ابــن منظــور، 1414هــ، صفحة 92)، ويأتي حينا متعدّيا بنفسه أو بحرف الجرّ (الباء)، فقد ورد في لســان العــرب: "وَقَدْ تَقَنّعَتْ بِهِ وقَنّعَتْ رأْسَها" (ابن منظور، 1414هــ، صفحة 300). وهذا أبو تمّام يقول على الأصل (أبو تمام، 1992، صفحة 346):

وَلَـــمْ يَكُـــنِ المُقَنَّـــعَ فيـــهِ رَأْســـاً خَـــــلا أَنْ قَـــــدْ تَقَنَّـــــعَ بالحَديـــــدِ

إلّا أنّ مجيئه في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (عن) يفيد تضمّنه معنى الفعل (نشأ)، فالخطوب تقنّعت ناشئة عن حرب شديدة عظيمة. وقد لفت النّظر إلى هذا التّضمين ابن عاشور، فقال: "وتعديـة تقنّعت بحرف (عن) لأنّه ضمّن (تقنّعت) معنى نشأ تقنّعها عن لاقح". (ابن برد، 2007، صفحة 309)

يقول هاجيا:

وَبَـــاطَ ابْـــنُ رَوْح للْجَماعَـــةِ إِنّـــهُ زَأَرْنَـــا إِلَيْـــهِ فَاقْشَـــعَرَّتْ ذَوَائِبُـــه

(بن برد، 2007، صفحة 338) (بحر الطويل)

الأصل في الفعل (باط) اللّزوم. جاء في تاج العروس: "وقالَ ابْن الأَعْرَابِيّ: {باطَ الرَّجُلُ، إِذا افْتَقَرَ بَعْد غِنًى، وذَلّ بَعْدَ عِزٍّ فَهُوَ} يبوطُ {بَوْطاً. وبُواطٌ " (الزبيدي، 2001، صفحة 173)، غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (اللّام)، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الانقياد، الّذي يتعدّى بحرف (اللّام)؛ ورد في اللّسان: "وَيُقَالُ: انقادَ لِي الطّرِيقُ إِلى مَوْضِعِ كَذَا انقِياداً إِذا وَضَح صَوْبُه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 371).

وهو في البيت يهجو ابن روح، عبد الله بن يزيد الجذاميّ، في سياق وصفه معركة خاضها الخليفة مروان بن محمّد، آخر خلفاء بني أميّة. فيكون تقدير الكلام: إنّ المهجوّ باط منقادا للجماعة الممدوحين.

أمّا الشّطر الثّاني، ففيه تضمين آخر بالفعل (زأر)، الّذي يأتي في الاستعمال اللّغويّ لازما أيضا، ففي لسان العرب: "زأر: زَأَرَ الأَسدُ، بِالْفَتْحِ، يَزْئِرُ ويَزْأَرُ زَأْراً وزَئِيراً: صَاحَ وَغَضِبَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 314)، لكنّ الشّاعر استخدمه متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، لتضمّنه الفعل (توجّه): "وتوَجَّه إِلَيْهِ: ذَهَبَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 556). فهؤلاء الممدوحون زأروا، مشبَّهين بالأسد، متوجّهين إلى ابن روح.

قال في النّسيب:

فَـــــأَرَتْنِي ثُـــــمَّ شَـــــطَّتْ شَـــــطّةً تَرَكَـــــتْ قَلْبِـــــي إِلَيْهَـــــا يَضْـــــطَرِبْ

(بن برد، 2007، صفحة 363) (بحر الرّمل)

أصل الفعل (اضطرب) اللّزوم؛ جاء في لسان العرب: "وتَضَرَّبَ الشيءُ واضْـطَرَبَ: تَحَـرَّكَ ومـاجَ. والاضطِرابُ: تَضَرُّبُ الْوَلَدِ فِي البَطْنِ. ويُقَالُ: اضْطَرَبَ الحَبْل بَيْنَ الْقَوْمِ إِذا اخْتَلَفَت كَلِمَتُهم. واضْطَرَب أَمْره: اخْتَلّ، وحديثٌ مُضْطَرِبُ السَّنَدِ، وأَمْرٌ مُضْـطَرِبٌ. والاضْـطِرابُ: الحركـةُ". (ابـن منظـور، 1414هـ، صفحة 544)

ومجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (إلى) عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (تاق) المتعدّي بالحرف المذكور، جـاء في اللّسان: "توق: التّوْقُ: تُؤُوق النّفْسِ إِلَى الشّيْءِ وَهُوَ نِزاعها إِلَيْهِ. تاقَت نفْسي إِلَى الشّيْءِ تَتُوق توْقـاً وتُؤُوقاً: نزَعَت وَاشْتَاقَتْ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 33). ومن الشّواهد على تعدّي الفعل بحرف الجرّ (إلى)، قول كثيّر عزّة: (عزّة، 1971، صفحة 325)

ومـــا زلـــتَ توّاقـــاً إلـــى كـــلّ غايـــة بَلَغْـــتَ بهـــا أعْلَـــى البِنَـــاءِ المُقَـــدَّمِ

فبشّار تائق إلى رؤية محبوبته، ما جعله في حالة اضطراب وتخبّط، بعيدا عن الاسـتقرار والسّـكون! وبهذا يكون تقدير الكلام: تركت قلبي يضطرب تائقا إليها.

قال في قصيدة مديح واصفا سفينة:

تَصِـــــــرٌ أَحْيانًـــــــا بِسُـــــــكّانِهَا صَـــرِيرَ بَـــابِ الـــدّارِ فِـــي الْمُـــذْنَبِ

(بن برد، 2007، صفحة 173) (بحر السّريع)

يأتي الفعل (صرّ) في الاستعمال اللّغويّ لازما، فقد جاء في لسان العرب: "صَرَّ يَصِرُّ صَرّاً وصَـرِيراً وصَرْصَرَ: صوَّت وَصَاحَ اشدِّ الصِّيَاحِ... صَرَّ العُصْفُور يَصِرُّ إِذا صَاحَ. وصَرَّ الجُنْدُب يَصِرُّ صَـرِيراً وصَرَّ الْبَابُ يَصِرُّ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 450).

غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (يجري)، الّذي قد يتعدّى بالحرف ذاته، ودليل ذلكم قول الله –تعالى– عن سفينة نوح عليه السّلام:﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾[هود: 42]. فالشّاعر يتحدّث في البيت أيضا عن سفينة، تجري براكبيها، وتصرّ. والتّقدير: تصرّ جاريةً بسكّانها.

يقول مخاطبا أعداء ابن هبيرة:

مَـــا أُحْرِمَـــتْ عَنْـــكَ خَطَاطِيفُـــهُ فَـــارْقَ عَلَـــى ظَلْعِـــكَ أَوْ قَبْقِـــبِ

(بن برد، 2007، صفحة 182) (بحر السّريع)

يأتي الفعل (رقي) لازما، فقد جاء في لسان العرب: "ورَقِيَ فلانٌ فِي الْجَبَلِ يَرْقَى رُقِيّاً إِذَا صَـعَّدَ" (ابـن منظور، 1414هـ، ص331). وشاهده قول رسول الله –عليه السّلام–: "يُقالُ: لصاحِبِ القـرآنِ يـوم القيامة: اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا" (ابن حنبل، 2001، صفحة 404).

غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (على)، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (حـافظ)، الّـذي يتعدّى بالحرف (على)، وبرهانه ما ورد في تاج العروس: "ويُقَالُ: حافَظَ عَلَى الأَمْـرِ، وثَـابَرَ عَلَيْـه، وحَارَص وبَارَك، إِذا داوَمَ عَلَيْه" (الزبيدي، 2001، صفحة 220). وقد جاء بـذلكم دلـيلا قـولُ الله – تعالى–:﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّـلَوَٰتِ ﴾[البقرة: 238].

وهو في البيت يوجّه رسالة إلى مَن تسوّل له نفسه الخروج على ابن هبيرة، طالبا منهم ألّا يعجلوا في الحرب؛ فليسوا بأهل لها، ولا طاقة لهم بابن هبيرة وجنوده، فينصحهم ألّا يتمادوا فيما لا يقوون عليه. وبهذا يكون تقدير الكلام في البيت: ارق محافظا على مقدرتك دون تجاوز لها.

قال في الهجاء:

يَا صَاحِ لَا تَجْرِ فِي لَوْمِي وَتَأْنِيبِي مَا كُلُّ مَنْ لَمْ يُجِبْ قَوْمًا بِمَغْلُوبِ

(بن برد، 2007، صفحة 283) (بحر البسيط)

يأتي الفعل (جري) لازما في الاستعمال اللّغويّ، فقد جاء في لسان العرب: "وجَرَى الماءُ والدمُ ونَحْوُهُ جَرْياً وجَرْيَةً وجَرَيَاناً... وجَرَى الفرسُ وغيرُه جَرْياً وجِراءً: أَجْراه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 140).

إلّا أنّه جاء في البيت السّابق متعدّيا بحرف الجرّ (في)، لتضمّنه معنى الفعل (أسرع)، الّذي قد يتعدّى بحرف الجرّ المذكور، فقد ورد في اللّسان: "أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ، وَهُوَ فِي الأَصل مُتَعَدٍّ"(ابن منظور، 1414هـ، صفحة 101)، وقال البحتريّ مستخدما الفعل متعدّيا بحرف (في): (البحتري، صفحة 830)

وَإِذَا اضْطَربت فَعَنَّ لِي وَجْهُ الغِنَى أَسْرَعت فِي مَنْعِي انْسِرَاعَ مُحَارِدِ

فيكون تقدير الكلام: لا تجرِ مُسرعا في لومي.

يقول مفتخرا:

مُعِدِّينَ ضِرْغَامًا وَأَسْوَدَ سَالِخًا حُتُوفًا لِمَنْ دَبَّتْ إِلَيْنَا عَقَارِبُهْ

(بن برد، 2007، صفحة 339) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (دبّ) في الاستعمال اللّغويّ لازما، فقد جاء في لسان العرب: "يَدِبُّ دَبّاً ودَبِيباً: مَشَى عَلَى هِينَتِه. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: دَبَّ يَدِبُّ دَبِيباً..." (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 369)، وجاء ابن منظور،

في الصّفحة نفسها، بالتّعبير ذاته المستخدم في البيت الشّعريّ، دون تعدٍّ، فيقول: "ودَبَّتْ عَقارِبُه: سَرَتْ نَمائِمُه وأَذاهُ".

غير أنّه جاء في البيت الشّعريّ متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، لتضمّنه معنى الفعل (توجّه) الّذي يتعدّى بالحرف المذكور؛ "وتوَجَّه إِلَيْهِ: ذَهَبَ" (ابن سيده، 2000، صفحة 397). فيكون تقدير الكلام: دبّت عقاربه متوجّهة إلينا.

وهو في البيت يُبدي جاهزيّته وجماعته لمواجهة أعدائهم الّذين يدبّون متوجّهين إليهم.

يقول معبّرا عن امتثاله أوامر المهديّ:

لمَعَتْ إليّ تسُومُنِي لَعِبَ الشّبابِ وقدْ طَوَيْتُهْ

(ابن برد، 2007، صفحة 19) (مجزوء الكامل)

الأصل أن يأتي الفعل (لمع) لازما، إذ جاء في لسان العرب: "لَمَعَ الشيءُ يَلْمَعُ لَمْعاً ولَمَعَاناً ولُمُوعاً ولَمِيعاً وتِلِمّاعاً وتَلَمَّعَ، كلُّه: بَرَقَ وأَضاءَ"(ابن منظور، 1414هـ، صفحة 324). وتقول الخنساء على الأصل (الخنساء، 2004، صفحة 61):

صَريعِ أرْماحٍ ومَشْحوذَة كالبرق يلمعنَ خلالَ الديارْ

ومجيء الفعل متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (قصد) الّذي يتعدّى بالحرف المذكور، فممّا جاء في لسان العرب: "والقَصْدُ: إِتيان الشّيْءِ. تَقُولُ: قصَدْتُه وقصدْتُ لَهُ وقصدْتُ إِليه بِمَعْنًى. وَقَدْ قَصُدْتَ قَصادَةً".(ابن منظور، 1414هـ، صفحة 353) يقول المتنبّي (المتنبي، 2014، صفحة 785):

قصَدْتُكَ والرّاجونَ قَصدي إلَيهِمِ كثيرٌ ولكن ليسَ كالذّنَبِ الأنْفُ

وبهذا يكون تقدير كلام بشّار: لمعت قاصدة إليّ.

والشّاعر في البيت يريد أن يظهر حقيقة التزامه بأمر الخليفة، الّذي منعه من التّشبّب بالنّساء، فيقول إنّ المحبوبة لمعت لشدّة حسنها، بل قصدت إليه قصدا، ما يجعله راغبا في وصالها لا بدّ، إلّا أنّه لم ينسق إلى الهوى؛ نزولا على أمر المهديّ.

أمّا ابن عاشور فقد أوضح قائلا: "معنى "لمعت": ظهرت" (بن برد، 2007، صفحة 19).

يقول في مديح المهديّ:

أَرِقْتُ إلى بطْنِ الخَرِينِ ورَغْبَتِي إلى مَلِكٍ يجلو الدّجى حينَ يخرُجُ

(بن برد، 2007، صفحة 63) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (أرق) في الاستعمال اللّغويّ لازما، ورد في لسان العرب: "الأَرَقُ: السَّهَرُ. وَقَدْ أَرِقْت، بِالْكَسْرِ، أَي سَهِرْت" (ابن منظور، 1414هـ، ص4)، وفيه يقول المتنبّي (المتنبي، 2014، صفحة 806):

أَرَقٌ عَلى أَرَقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

غير أنّ مجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، يفيد تضمّنه معنى الفعل (أشتاق) الّذي يتعدّى بحرف الجرّ (إلى)؛ جاء في لسان العرب: "الشَّوْقُ والاشْتِياقُ: نِزاعُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَشْواقٌ، شاقَ إِلَيْهِ شَوْقاً وتَشَوَّق واشتاقَ اشْتِياقاً" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 192). وعلى ذلكم جاء قول البحتريّ (البحتري، صفحة 791):

فإنْ يُبلِني الشّوقُ مِن بعدِه فإنّ اشتياقي إليه جديدْ

فالشّاعر مشتاق إلى بطن الخرين، وهو موضع فيه أهله، واشتياقه سبّب له الأرق، فصار مشتاقا إليه أرِقا.

وكذلكم جاء بشّار بالفعل بالصّورة ذاتها الّتي ورد فيها في البيت السّابق، إذ يقول: "أرقت إلى سُعدى فمن... [محو]" (بن برد، 2007، صفحة 77).

يقول في الغزل:

تعجّبَــتْ جــارتي منّــي وقــدْ رَقَــدَتْ عنّــي العُيــونُ وبــاتَ الهــمُّ محْتَشِــدا

(بن برد، 2007، صفحة 138) (بحر البسيط)

الأصل في الفعل (رقد) أن يأتي لازما، فقد جاء في اللّسان: "رقد: الرُّقاد: النّوْم... ورَقَــدَ يَرْقُــدُ رَقْــداً ورُقُوداً ورُقاداً: نَامَ" (ابن منظور، 1414هــ، صفحة 183)، وعلى الأصل قال ابن الرّوميّ: (الرومي، 2002، صفحة 511).

رقــدْتُ ومَــا ليــلُ الْغَريــبِ برَاقــدِ ومَــا رَاقــدٌ لــمْ يــرْعَ نَجْمًــا كسَــاهدِ

ويقول المعرّي أيضا: (المعري، 449هــ، صفحة 244)

رقَــدْنا، ولــمْ نَمْلِــكْ رُقــادًا عَــنِ الأَذَى؛ وقَامَــتْ بِمَــا خِفْنَــا، ونَحْــنُ قُعُــود

غير أنّ الفعل جاء على غير أصله في بيت بشّار السّابق، إذ عدّاه بحرف الجــرّ (عــن)، وذلكــم لمــا يتضمّنه من معنى الغفلة، المتعدّي بحرف الجرّ (عن)؛ إذ كتب ابن منظور: "غفل: غَفَلَ عَنْهُ يَغْفُلُ غُفولًا وغَفْلةً وأَغْفَلَه عَنْهُ غيرُه وأَغْفَلَه: تركَه وسَهَا عَنْهُ" (ابن منظور، 1414هــ، صــفحة 497). فالشّــاعر يقول إنّ عيون الوشاة قد رقدت غافلة عنه.

وجاء بشّار بالفعل على الفرع أيضا في بيت لاحق يقول فيه (بن برد، 2007، صفحة 224):

كلّــا ســأتْرُكُ ذِكــرِي تلِــكَ إذا رَقَــدَتْ عَنّــي وَأَذْكُــرُ يومًــا غَيْــرَ رَقّــادِ

وقال ابن عاشور في شرحه: "أي إذا غفلت عنّي وهجرتني". (ابن برد، 2007، صفحة 224)

يقول واصفا نفسه:

فانصــدعت عــن راكــب مجــدّ ورّاد أمــواهٍ كمــاء السّــخد

(بن برد، 2007، صفحة 163) (بحر الرّجز)

يأتي الفعل (صدع) –مجرّدا– في الاستعمال اللّغويّ، متعدّيا بنفسه، وإذا زيد على صيغة (انفعل)، صار لازما، لما تحتمله هذه الصّيغة من اللّزوم (حسن)، نقول: كسرتُ الزّجاجَ فانكسر، وأطلقتُ السّهم فانطلق. وورد في لسان العرب بالفعل (صدع): "وصَدَعَ الشيءَ يَصْدَعُه صَدْعاً وصَدَّعَه فانْصَدَعَ وتَصَدَّعَ: شَقّه بِنِصْفَيْنِ". (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 194) وممّا يُذكَر استئناسا على الأصل، قول جرير (جرير، 1986، صفحة 288):

ذكرْتَ ثَرى نواظرَ والخُزَامَى فكَادَ القَلْبُ يَنصَدعُ انْصِداعَا

غير أنّ مجيئه على غير أصله، متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، يضمّنه معنى الفعل (كشف) الّذي قد يتعدّى بالحرف (عن)، ففي مقاييس اللّغة: "الْكَافُ وَالشِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَرْوِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، كَالثَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ" (ابن فارس، 1979، صفحة 181)، ومصداق ذلكم قول الله –تعالى– في عدّة مواطن، منها قوله سبحانه: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾[النّمل: 44]. فالشّاعر يخبر أنّ الطّريق انصدعت كاشفة عن راكب مجدّ، واصفا نفسه.

يقول مفتخرا بكبريائه:

جَرَتِ الدّموعُ وقُلْن: فيكَ جَلادةٌ عَنّا ونكْرَهُ أنْ نراكَ جَليدا

(بن برد، 2007، صفحة 231) (بحر الكامل)

يأتي الفعل (جلد) في الاستعمال اللّغويّ لازما، فقد جاء في لسان العرب: "والجَلَدُ: الصَّلَابَةُ والجَلادة؛ تقول مِنْهُ: جَلُد الرَّجُلُ، بِالضَّمِّ، فَهُوَ جَلْد جَلِيد وبَيِّنُ الجَلَدِ والجَلادَة والجُلودة" (ابن منظور، 1414هـ، الصفحات 125–126)، واستشهد ابن منظور ببيت شعريّ، تعدّى فيه الفعل (جلد) بحرف الجرّ (عن)، وهو قول الشّاعر:

"وَكَيْفَ تَجَلّدُ الأَقوامِ عَنْهُ، ... وَلَمْ يُقْتَلْ بِهِ الثّأْرُ المُنِيم؟"

وبرّر ابن منظور ذلكم بقوله: "عَدَّاهُ بِعَنْ؛ لأَن فِيهِ مَعْنَى تَصَبَّرُ" فتعدّي المصدر (جلادة) في بيت بشّار، بحرف الجرّ (عن)، عائد إلى تضمّنه معنى (صبر)، الّذي قد يتعدّى بالحرف المذكور، ففي التّاج: "(صَبَرَهُ عنْهُ يَصْبِرُهُ) صبْراً: (حَبَسَهُ)" (الزبيدي، 2001، صفحة 271)، وقد جاء بشّار ذاته بذا الفعل على أصله، فيقول: (بن برد، 2007، صفحة 367)

فَصَبرْنا عنْها كَمَا صَبَرتْ عَنّا ولَمْ نتَّخِذْ عُبَيْدَةَ رَبّا

وبهذا يكون تقدير الكلام: فيك جلادة متصبّرا عنّا.

والبيت خطاب من الأوانس إلى بشّار بعدما طلبن قدومه إليهنّ وقد غاب الوشاة الّذين فرّقوا بينهما، فأتاهنّ. ولكن سرعان ما انقضى اللّيل وتنفّس الصّباح مؤذِنا برحيله، فبكين لفراقه ولم يبكِ، فرأين فيه صلابة وجلادة تجعله متصبّرا عنهنّ متأخّرا في وصلهنّ، ولا يرغبن في ذلكم، بل يرِدنه مسرعا إلى زيارتهنّ!

قال في الغزل:

مَأْدُومَةٌ بِالْعَبِيرِ تَضْحَكُ عَنْ مِثْلِ وِشَاحِ الْجُمَانِ أَوْ بَرَدِ

(بن برد، 2007، صفحة 67) (بحر السّريع)

أصل الفعل (ضحك) اللّزوم، فقد جاء في لسان العرب: "الضَّحِكُ: مَعْرُوفٌ، ضَحِكَ يَضْحَك ضَحْكاً وضِحْكاً وضِحِكاً وضَحِكاً أَربع لُغَاتٍ..." (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 459)، ومن ذلكم على الأصل قوله -تعالى-: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾[التّوبة:82].

غير أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (عن)؛ لتضمّنه معنى الفعل (جلّى)، الّذي قد يتعدّى بحرف الجرّ (عن): "جَلا الأَمرَ وجَلّاه وجَلّى عَنْهُ كشَفه وأَظهره، وقَدِ انْجَلَى وتَجَلّى" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 150). واستخدم ابن زيدون الفعل على أصله بقوله: (زيدون، 1994، صفحة 178)

إذا صـــــــــــابَتْنِي الجُلّـــــــــــى تجلّـــــــتْ عـــــــنْ فتـــــــى أروعْ

وبهذا يكون تقدير الكلام: ضحكت جالية عن أسنان كالجمان أو البرَد.

والبيت من قصيدة نسيبٍ في محبوبته (صفراء)، يصِفها وقد افتُتِن بها. يقول إنّ لها مبســما خلّابــا، إذ تضحك جالية عن ثغر كوشاح الجُمان اللّامع، أو كبرَد أبيض ناصع.

يقول متغزّلا:

قَـــدْ مَـــاتَ غَمًّـــا وَشَـــفَّهُ كَمَـــدٌ عَلَيْـــكِ فَـــارْثِي لَـــهُ مِـــنَ الْكَمَـــدِ

(بن برد، 2007، صفحة 67) (بحر السّريع)

يأتي الفعل (كمد) في الاستعمال اللّغويّ لازما، ودليله ما جاء به الجوهريّ فـي الصّـحاح، إذ يقـول: "الكَمَدُ: الحزن المكتوم. تقول منه: كَمِدَ الرجل فهو كَمِدٌ وكيمد" (الجوهري، 1987، صفحة 531). ومن ذلكم قول أبي تمّام (أبو تمام، 1992، صفحة 107):

كُشِـــفَ الغِطَـــاءُ فأَوْقِـــدِي أَوْ أَخْمِـــدِي لـــم تكمـــدي، فظننـــتِ أنْ لـــمْ يَكْمَـــدِ

إلّا أنّه جاء في البيت مصدَرا متعدّيا بحرف الجرّ (على)، وذلكم لتضمّنه معنى الفعل (بكى)، الّـذي قـد يتعدّى بحرف الجرّ (على)، ففي اللّسان: "وبَكَيْتُه وبَكَيْتُ عَلَيْهِ بِمَعْنًى. قَالَ الأَصـمعي: بَكَيْـتُ الرجـلَ وبَكّيْتُه، بِالتّشْدِيدِ، كِلَاهُمَا إِذَا بَكَيْتَ عَلَيْهِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 83)، وبهـذا جـاء قـول الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الدّخان:29].

وتقدير كلام بشّار يكون على الآتي: شفّه الكمد باكيا عليك، فصار في حالة يُرثى لها؛ فارثي له!

يقول في وصف محبوبته:

تُـــروَّع مِـــنْ صَـــوْتِ الْحَمَامَـــةِ بِالضُّـــحَى وَباللّيْـــلِ تَنْجُـــو عَـــنْ غِنَـــاءِ الْجَدَاجِـــدِ

(بن برد، 2007، صفحة 78) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (ينجو) بمعنى (يسرع) لازما، وفيه يقول الزّبيديّ: "{ونَجَا} نجاءً، بالمدِّ: أَسْرَعَ، وَهُوَ ناجٍ أَي سَرِيعٌ" (الزبيدي، 2001، صفحة 37).

غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، وذلكم لتضمّنه معنى الفعل (تولّي)، الّذي قال فيه ابن منظور: "وولّى الشيءُ وتَوَلّى: أَدْبَرَ. وولّى عَنْهُ: أَعْرَضَ عَنْهُ أَو نَأَى" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 414)، ليكون تقدير الكلام: وباللّيل تسرع مولّيا عن غناء الجداجد لفزعك منها.

وقد أبان ابن عاشور في شرحه عن معنى (تنجو)، فقال: "تنجو أي تفزع فتسرع". (ابن برد، 2007، صفحة 78)

قال هاجيا:

وَكُنْتَ إِذا ظَمِئْتَ إِلى قَرَاحٍ شَرِكْتَ الكَلْبَ في ذاكَ الإِطارِ

(بن برد، 2007، صفحة 231) (بحر الوافر)

أصل استعمال الفعل (ظمئ) اللّزوم، وهو ما دلّ عليه ما جاء في اللّسان: "وَقَدْ ظمِئَ فُلَانٌ يَظْمَأُ ظَمَأً وظَماءً وظَماءَةً إِذَا اشتدّ عَطَشُه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 116)، وكذلكم ما ورد في التّاج: "ظَمِىءَ، كفرِح) {يَظْمَأُ} ظَمْأً". (الزّبيدي، 2001، صفحة 332).

وقد جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وهو تركيب قد أشار إليه ابن منظور، فيقول: "ظَمِئَ إِلَى لِقائه: اشْتاقَ، وأَصله ذَلِكَ" (ابن منظور، 1414هـ، ص116)، وكذلكم جاء في تاج العروس: "ظَمِيء (إِليه) أَي إِلى لِقَائِه (اشْتَاقَ) وأَصله من مَعنى العَطش" (الزبيدي، 2001، صفحة 333). وجاء بيت لبشّار بالتّركيب ذاته، يقول (ابن برد، 2007، صفحة 30):

ظَمِئْتُ، فلَمْ أَظْمَأْ إلى بَرْدِ مشْرَبٍ ولكنْ إلى وجْهِ الحبيبِ ظميتُ

غير أنّ مرتضى الزّبيديّ قد عقّب على توضيح الفعل (ظمئ) الأوّل بقوله: "وَمن الْمجَاز: أَنَا ظَمْآن إِلى لِقَائك) أَي مُشتاقٌ، ونبّه عَلَيْهِ الراغِبُ وَهُوَ مُستعمَلٌ فِي كَلَامهم كثيرا" (الزبيدي، 2001، صفحة 333).

فيُرى أنّ المنقول السّابق آخذ بالمجاز في تخريج التّركيب، ويمكن الأخذ بالتّضمين، ليكون أصل الكلام: ظمئت محتاجا إلى قراح، فالفعل (احتاج) يتعدّى بالحرف (إلى)، ومصداق ذلكم ما جاء في لسان العرب: "تَحَوَّجَ إِلى الشّيْءِ: احْتَاجَ إِليه وأَراده" (ابن منظور، 1414ه، صفحة 243).

قال معبّرا عن التزامه بأمر المهديّ بعدم التّغزّل:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَشَابَ المُعَذَرُ وَأَقْصَرْتُ إِلّا بَعْضَ مَا أَتَذَكّرُ

(بن برد، 2007، صفحة 259) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (صحا) في الاستعمال اللّغويّ لازما، فقد جاء في القاموس المحيط: "الصَّحْوُ: ذَهابُ الغَيْمِ والسُّكْرِ، وتَرْكُ الصبا والباطِلِ... وصَحِيَ السَّكْرانُ، كَرَضِيَ" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1302)، وعلى الأصل جاء قول بشّار نفسه: (بن برد، 2007، صفحة 82)

صَحَا تِرْبِي وَمَا قَلْبِي بِصَاحِ وأصبحَ عانِدًا حَبْلَ النّصَاحِ

ويقول كذلكم (بن برد، 2007، صفحة 121):

فلمّا صَحَوْتُ ولَمْ أَلْقَها صَحَوْتُ وقلْبِي مُقْتَصِد

أمّا مجيء الفعل في البيت الأوّل متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، فمتضمّن معنى الفعل (حاد)، الّذي قد يتعدّى بالحرف المذكور، ودليله ما جاء في الصّحاح: "حاد عن الشئ يحيد حُيوداً وحَيْدَة وحَيْدودَةً: مال عنه وعدل" (الجوهري، 1987، صفحة 467). ومن ذلكم قول البحتريّ (البحتري، صفحة 722):

حادَ عَن مَجدِكَ المُسامي وأمعَنَ تَ عُلُوّاً فَصَدّ عَنكَ الحَسُودُ

وبهذا يكون تقدير الكلام: صحا القلب حائدا عن سلمى، أي تاركا اللّهو والصّبا، مبتعدا عنها.

المبحث الثّالث: تضمين الفعل اللّازم أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بنفسه

يقول متغزّلا:

فقلت لها: ألقي الصّلاة وأنثني شفاعة مَن يأوي لحرّان مقصد

(بن برد، 2007، صفحة 148) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (انثنى) في الاستعمال اللّغويّ لازما، ففي الصّحاح: "وانثنى، أي انعطف" (الجوهري، 1987، ص2296)، وفيه يقول كثيّر عزّة (عزّة، 1971، صفحة 165):

وإنّي لَيُثْنِينِي الْحَيَاءُ فَأَنْثَني وَأَقعُدُ والمَمْشَى إِلَيْكِ قَرِيبُ

غير أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بنفسه، وذلكم عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (أطلب)، الّذي يتعدّى بنفسه، فقد جاء في المحكم: طَلَبَ الشّيءَ يَطْلُبُه طَلَباً" (ابن سيده، 2000، صفحة 176). يقول البحتريّ (البحتري، صفحة 1245):

وَمَضَى الطّالبيُّ يَطلُبُ حِرْزاً والمَنَايا يَطْلُبْنَهُ في التّلاعِ

وفي البيت يخاطب بشّار محبوبته ويقول إنّه راغب في لقائها، ولو كان بتركه الصّلاة، فيلغي الصّلاة وينثني طالبا شفاعة الرّسول عليه السّلام!

يقول مادحا بنات مواليه:

ثاويات على البليخ محلاً في قِبَابٍ أوْ يَنْثَنِينَ قُصُورَا

(بن برد، 2007، صفحة 233) (بحر الخفيف)

كحال البيت السّابق، جاء الفعل (انثنى) متعدّيا بنفسه، على أنّ الأصل أن يكون لازما. فمجيئه متعدّيا بهذا البيت يعود إلى تضمّنه معنى الفعل (يدخلن) الّذي يتعدّى بنفسه. جاء في الصّحاح: "دَخَلَ دُخولاً (1). يقال: دَخَلْتُ البيت" (الجوهري، 1987، صفحة 1696)، ومثال ذلكم قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف:39].

وفي البيت يمدح بنات بني عقيل، وهو من مواليهم، واصفا ما هنّ به من نعيم، فيقول إن كنّ في سفر كنّ في قِباب يحتمين فيها، فلمّا يعُدن، ينثنين داخلات قصورا.

المبحث الرّابع: تضمين الفعل المتعدّي بحرف أو ما في معناه معنى فعل متعدّ بحرف آخر

قال في الهجاء:

بَكَيْتَ خِلاف كِنْدِيرٍ عليه وهل يُغنِي مِنَ الحَرَبِ البُكَاء؟

(بن برد، 2007، صفحة 146) (بحر الوافر)

في هجائه للباهليّ، جاء بشّار بن برد بالفعل (يغني) متعدّيا بحرف الجرّ (من)، والأصل فيه أن يتعدّى بحرف (عن)، بمعنى (ينوب عن). فقد جاء في التّاج: "قالُ: {} أَغْنَى عَنهُ {غَنَاءَ فُلانٍ)، كسَحابٍ، {} ومَغْناهُ {ومَغْناتَهُ، ويُضمّانِ؛} أَي (نابَ عَنهُ) ؛) كَمَا فِي المُحْكم" (الزبيدي، 2001، صفحة 191).

وقد ورد الفعل على أصله في قول الله –عزّ وجلّ–: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾ [المسد:2]. يقول البغويّ في تفسيرها: "ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال" (البغوي، 1997، صفحة 582). ورد الفعل كذلكم في قوله –تعالى–: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾[اللّيل:11]، وفي الآية الكريمة: ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾[يوسف: 68].

كما ورد الفعل في قول طرفة على أصله، إذ يقول (بن العبد، 1994، صفحة 103):

متى تأتِني أُصبحكَ كأساً رَوِيّةً وإنْ كنتَ عنها ذا غِنًى فاغنَ وازْدَد

غير أنّ بشّارا جاء به متعدّيا بحرف (من)، مضمّنا إيّاه معنى فعل آخر، وهو (يحمي) الّذي قد يتعدّى بحرف الجرّ (من)، إذ ورد في محكم ابن سيده: "وحَماه من الشّيْء وحَماه إِيّاه" (ابن سيده، 2000، صفحة 453). وبهذا يكون تقدير الكلام: هل يغني البكاء عن الحرَب حاميا من وقوعه.

قال في الشّكاية من الحسّاد:

أَنْـــتَ امْـــرُؤٌ فِـــي سُـــخْطِنا ناصـــبٌ وَمِـــــنْ هَوانـــــا نـــــازِحٌ نَـــــاء

(بن برد، 2007، صفحة 155) (بحر السّريع)

الأصل في الفعلين، نزح ونأى، إن تعدّيا، أن يأتيا بحرف الجرّ (عن)، ففي لسان العرب: "نــزح: نَــزَحَ الشيءُ يَنْزَحُ نَزْحاً ونُزوحاً: بَعُدَ. وشيءٌ نُزُحٌ ونَزُوحٌ: نازح" (ابن منظور، 1414هــ، صــفحة 614)، ويتبيّن في التّوضيح أنّ الفعل (نزح) لازم، غير أنّ ابن منظور استشهد في الصّفحة ذاتها ببيت شعريّ، يبيّن إمكانيّة تعدّيه بحرف (عن)، إذ يقول: "وأنشد ثعلب:

إِنَّ المَذَلّـــــــةَ منْـــــــزِلٌ نُـــــــزُحٌ عَـــنْ دَارِ قَوْمِـــكِ، فـــاتْرُكي شَـــتْمِي"

وما يؤكّد ذلكم أيضا، ما فسّر به ابن منظور (الغربة) إذ يقول: "والغُرْبةُ والغُرْب: النُّزوحُ عَنِ الــوَطَن والاغْتِرابُ" (ابن منظور، 1414هــ، صفحة 639)، ما يبيّن أنّ الفعل (نزح) متعدٍّ بــ(عن)، إن لزم.

أمّا الفعل (نأى)، فقد جاء في اللّسان: "نأي: النّأْيُ: البُعدُ. نَأَى يَنْأَى: بَعُدَ... نَأَى عَنْهُ، ونَاءَ ونَآهُ يَنْأَى نَأْياً وانْتَأَى"(ابن منظور، 1414ه، صفحة 300)، وبهذا يبدو أنّ الفعل (نأى) يتعدّى بحرف الجــرّ (عــن). وجاء الفعل على أصله في قول الله –تعالى–: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْءَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام:26]، واستخدمه بشّار أيضا على أصله في قوله: (بن برد، 2007، صفحة 281)

نَأَتْـــــــهُ ونَـــــــأَى عَنْهـــــــا وَأَبْـــــــدَتْ قَالـــــــةَ العُجْـــــــبِ

غير أنّه استخدمه والفعل (نزح)، متعدّيين بحرف (من)، إذن ضمّن بشّار الفعلين، معنى فعــل الفــرار، الّذي يتعدّى بــ(من). وقد ورد الفعل (فرّ) متعدّيا بــ(من) في قول الله –تعــالى–: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[الجمعة: 8]، وفي قوله –تعالى–: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[المــدّثر: 51].

وبهذا يكون تقدير الكلام، أنت امرؤ نزحت ونأيت عن هوانا، فارّا منه. وفي البيت يشكو بشّـار تسـلّط الوشاة عليه ومحبوبته، فما يكون منهم، حال وصالهما، إلّا النّأي والنّزوح عنهما بل الفرار منهما!

يقول شاكيا:

وَإِنْ تَعَلّلْـــــتُ إِلَـــــى زَلّـــــةٍ أَكَلْـــــتُ فِـــــي سَـــــبْعَةِ أَمْعَـــــاءِ

(بن برد، 2007، صفحة 155) (بحر السّريع)

الأصل في الفعل (تعلّل) أن يأتي متعدّيا بحرف (الباء)، لقول الفيروزآبادي: "وتَعَلّلَ بـالأَمر تَشـاغَل أَوْ تَجَزَّأَ" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1035)، وفي اللّسان: "والعُلالة، بِالضّمِّ: مَا تَعَلّلت بِهِ أَي لَهَـوْت بِهِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 470).

وفيه يقول الشّاعر عديّ بن زيد: (بن زيد، صفحة 172)

أَيُّهَـــا القَلْـــبُ تَعَلَّـــل بِـــدَدَن إنَّ هَمَّـــي فـــي سَـــمَاعٍ وَأَذَنْ

ويقول المتنبّي أيضا موردا مصدر الفعل على أصله: (المتنبي، 2014، صفحة 1495)

بِـــمَ التَعَلُّـــلُ لا أَهـــلٌ وَلا وَطَـــنُ وَلا نَـــديمٌ وَلا كَـــأسٌ وَلا سَـــكَنُ

إلّا أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وقد ورد في صورته هذه لتضمّنه معنى (الميل)، الّـذي يتعدّى بحرف الجرّ (إلى)، ومثاله ما جاء به بشّار في بيت آخر، إذ يقول (بـن بـرد، 2007، صـفحة 139):

يَميـــلُ إلـــيكُم وأميـــلُ عـــنْكُم فـــآتي جُهْـــدَهُ دُونَ اجْتِهـــادِي

وبتضمين الفعل (مِلت) يكون تقدير الكلام: وإن تعلّلت بزلّة مائلا إليها، كفّرتني (يقصد بـ"سبعة أمعـاء" الكفر). فالشّاعر يشكو وشاية الحسّاد، ومتابعتهم إيّاه ومحبوبته، فهم لا يبغون لهمـا البـرّ ولا يحفلـون بقربهما، وإن تشاغل الشّاعر بهفوة مائلا إليها، كانوا له بالمرصاد حاسدين.

وقد أشار إلى اللّفتة السّابقة، الطّاهر بن عاشور في شرحه، وفيها يقول: "التّعلّل: التّشاغل أو التّلهّي بالأمر، وعدّاه هنا بإلى لأنّه ضمّنه معنى الميل" (بن برد، 2007، صفحة 155).

يقول في النّسيب:

يَا صَاحِ لَا تَسْأَلْ بِحُبِّي لَهَا وَانْظُرْ إِلَى جِسْمِي ثُمّ اعْجَبِ

(بن برد، 2007، صفحة 170) (بحر السّريع)

يأتي الفعل (سأل) في الاستعمال اللّغويّ متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، فقد ورد في لسان العرب: "وسأَلْته عَنِ الشّيْءِ: اسْتَخْبَرْتُهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 319)، وعلى الأصل جاء قول الله –تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:101].

وقد جاء الفعل في آية كريمة أخرى، متعدّيا بحرف الباء، يقول –سبحانه–: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [المعارج: 1]، وقد جاء في تفسيرها عند ابن عاشور، في كتابه التّحرير والتّنوير: "ومِن بَلاغَةِ القُرْآنِ تَعْدِيَةُ (سألَ) بِالباءِ لِيَصْلُحَ الفِعْلُ لِمَعْنى الاسْتِفْهامِ والدُّعاءِ والاسْتِعْجالِ؛ لِأنَّ الباءَ تَأْتِي بِمَعْنى (عَنْ) وهو مِن مَعانِي الباءِ الواقِعَةِ بَعْدَ فِعْلِ السُّؤالِ نَحْوُ (فاسْأل بِهِ خَبِيرًا)... وقالَ الجَوْهَرِيُّ عَنِ الأخْفَشِ: يُقالُ خَرَجْنا نَسْألُ عَنْ فُلانٍ وبِفُلانٍ. وجَعَلَ في الكَشّافِ تَعْدِيَةَ فِعْلِ (سَألَ) بِالباءِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنى عُنِيَ واهْتَمَّ. وقَدْ عَلِمْتَ احْتِمالَ أنْ يَكُونَ (سالَ) بِمَعْنى استَعْجَلَ، فَتَكُونُ تَعْدِيَتُهُ بِالباءِ كَما في قَوْلِهِ تَعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ٱلْعَذَابُ [العنكبوت:53]". (بن عاشور، 1984هـ، صفحة 155)

في الاقتباس السّابق، يُبين ابن عاشور عن توجيهات مختلفة لتعدّي الفعل (سأل) بحرف الجرّ (الباء)، وكان منها توجيهها بالتّضمين، حيث ضُمّن الفعل (سأل) معنى الفعلين (عني)، أو (اهتمّ)، اللّذين يتعدّيان بحرف الجرّ (الباء).

وإذا ما أُريد الاهتداء بتضمين الآية الكريمة حسب قول الزّمخشريّ، فإنّ بشّارا قد ضمّن الفعل (سأل) معنى الفعل (اهتمّ) أيضا. ليكون تقدير الكلام: لا تسأل عن حبّي مهتمّا به؛ فحالي ليس بخافٍ على أحد، إذ نحول الجسم يلازمني دالّا على ما أعانيه.

يقول مادحا ابن هبيرة:

يَـــا أَيُّهَـــا النّـــازِي بِسُـــلْطَانِه أَدْلَلْـــتَ بِـــالْحَرْبِ عَلَـــى مِحْـــرَبِ

(بن برد، 2007، صفحة 181) (بحر السّريع)

يأتي الفعل (نزا) في الاستعمال اللّغويّ متعدّيا بحرف الجرّ (على) بمعنى (وثب)، وهذا ما دلّت عليه معاجم اللّغة، ففي لسان العرب: "يُقَالُ: نَزَوْتُ عَلَى الشّيْءِ أَنْزُو نَزْواً إِذَا وَثَبْت عَلَيْهِ" (ابن منظور، 1414ه، صفحة 319)، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، ولذلكم لما يتضمّنه من معنى الاستهانة.

فالبيت السّابق وارد في قصيدة يمدح الشّاعر فيها ابن هبيرة، ويهجو مَن حاول الخروج عليه وقتاله، والبيت خطاب للخارجين، بتحذيرهم من النّزو على مُلك الخليفة، ومن الاستهانة بسلطانه.

إذن تعدّي اسم الفاعل (النّازي) بحرف الجرّ (الباء)، عائد إلى تضمّنه معنى (المستهين)، الّذي يتعدّى بالحرف المذكور، يقول ابن منظور: "واسْتَهانَ بِهِ وتَهاوَنَ بِهِ: اسْتَحْقَرَهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 438). وقال المعرّي (المعرّي، 1983، صفحة 420):

إذا أُلِـفَ الشّـيءُ اسـتَهانَ بـهِ الفتـى فلـم يـرَهُ بؤسـى، يُعَـدُّ، ولا نُعمَـى

فيكون تقدير كلام بشّار: أيّها النّازي على سلطانه، مستهينا به، قد اجترأت بالحرب على شجاع عظيم، فاجتنب الغيّ ولا تقربه، إذ يكمل قوله فيقول:

الغَـيُّ يُعـدِي فاجتَنِـبْ قُرْبَـهُ واحْـذَرْ بُغـى مُعتَـزِلِ الأجـرَبِ

وقال بالتّضمين في هذا البيت ابن عاشور في شرحه، وفيه: "والنازي اسم فاعل من نــزا ينــزو نــزوا ونزوانا، إذا وثب، وأصله أن يتعدّى بعلى، لكنّه عدّاه بالباء لما ضمّنه من معنــى الواثــب المســتخفّ بسلطان الممدوح". (بن برد، 2007، صفحة 181)

يقول في الغزل:

شَـــــحَطَ المَـــــزارُ بِـــــه ولَـــــوْ يَـــــدنو إليْـــــك شَـــــفاك قُرْبَـــــهْ

(بن برد، 2007، صفحة 196) (بحر الكامل)

أصل الفعل (دنا) التّعدّي بحرف الجرّ (من)، جاء في لسان العرب ما نصّه: "دَنا الشيءُ مِنَ الشيءِ دُنُوّاً ودَناوَةً: قَرُبَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 271)، وفي الصّحاح: "دَنَوْتُ منه دُنُــوّاً" (الجــوهري، 1987، صفحة 341)، يقول طرفة: (بن العبد، 1994، صفحة 111)

فَمَــا لِــي أَرَانِــي وَابْــنَ عَمِّــي مَالِكــاً مَتَــى أَدْنُ مِنْــهُ يَنْــأَ عَنِّــي وَيَبعُــدِ؟

غير أنّ بشّارا جاء به متعدّيا بغير حرفه، فعدّاه بحرف الجرّ (إلى)، ويرجع ذلكم إلى رغبتــه بتضــمين الفعل معنى فعل آخر، وهو (يطمئنّ).

وتعدّي الفعل (اطمأنّ) بحرف الجرّ (إلى) وارد في معاجم العربيّة، ففي اللّسان: "اطْمَأَنّ قَلْبُهُ إذا سَــكَنَ، واطْمَأَنّتْ نَفْسُهُ، وَهُوَ مُطْمَئِنّ إِلى كَذَا، وَذَلِكَ مُطْمَأَنٌّ" (ابن منظور، 1414هــــ، صــفحة 268)، وفــي الصّحاح: "اطْمَأَنّ الرجل اطمِئناناً وطَمَأنينَةً، أي سكن وهو مُطْمَــئِنٌّ إلــى كــذا، وذاك مطمــأن إليــه" (الجوهري، 1987، صفحة 158)، وعند الفيروزابادي: "واطْمأَنّ إلى كذا اطْمِئْنانــاً وطُمَأْنِينَــةً، وهــو مُطْمَئِنٌّ، وذاكَ مُطْمأَنٌّ" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 213)

وهو بهذا عبّر بلفظ واحد عن معنيين، فالشّاعر يريد من المحبوبة أن تدنو منه مطمئنّــة إليــه، فيشــفى بقربها، غير أنّها تنأى عنه وتبتعد!

يقول متغزّلا بسعدى:

طَرِبْتُ إِلَى "حَوْضَى" وَأَنْتَ طَرُوبُ وَشَاقَكَ بَيْنَ "الأَبْرَقَيْنِ" كَثِيبُ

(بن برد، 2007، صفحة 208) (بحر الطويل)

جاء الفعل (طرب) في البيت الشّعريّ متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، على أنّ الأصل أن يكون لازما، ففي التّاج: "الطّرَبُ مُحَرّكَة: الفَرَحُ. والحُزْنُ)... فهِيَ تَعْتَرى عِنْدَ شدّةِ الفَرَح أَو الحُزْنِ أَو الغَمّ... قد طَرِبَ طَرَباً فَهُوَ طَرِبٌ من قَوْم طِراب" (الزبيدي، 2001، الصفحات 268–269). ومثاله على أصله ما قاله الكميت (شراب، 2007، صفحة 151):

طربتُ وَمَا شَوْقًا إلى البِيضِ أطْرَبُ ولا لَعِبًا مِنّي وَذو الشّيب يلعَبُ

وتعدية الفعل بحرف الجرّ (إلى)، يفيد تضمينه معنى التّوجّه، الّذي يقول فيه ابن منظور: "وتوَجّه إِلَيْهِ: ذَهَبَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 557). فالّذي يريد بشّار قوله، إنّه طرب متوجّها إلى (حوضى)، وهو اسم مكان ورد ذكره في شعر النّابغة، كما بيّن ابن عاشور في شرحه، وكذلكم هو المكان الّذي كانت تقطن فيه محبوبته، فلم يرد لتوجّهه أن يكون خاليا من المشاعر، بل أبان عن طربه إلى ذلكم المكان.

قال في حبّه سلمى:

وقائلٍ: "خلِّها"، وقد عَقَدَتْ نَفْسِي إلى نَفْسِها فلَا هَرِبُ

(بن برد، 2007، صفحة 218) (بحر السّريع)

الأصل في الفعل (عقد) أن يأتي متعدّيا بنفسه، ودليله ما جاء في لسان العرب: "العَقْد: نَقِيضُ الحَلِّ؛ عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْداً وتَعْقاداً وعَقّده"، وقد يأتي كذلكم متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، ففي اللّسان أيضا: "وعَقَدَ البِناءَ بالجِصِّ يَعْقِدُه عَقْداً: أَلْزَقَهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 297)، وممّا قال البحتريّ بتعدية الفعل بحرف الباء (البحتري، صفحة 1899):

كَيْـــفَ السُّـــلُوُّ وقَـــدْ عَقَـــدْتُ عُقُودَهَـــا بِمَـــــــواثِقِي وحِبَالَهـــــا بِحِبـــــالي

إلّا أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وذلكم لما يحمله من معنيين متمثّلين في الفعلين، المتضمِّن والمتضمَّن، فقد تضمّن الفعل (عقد) معنى الفعل (سكن) المتعدّي بحرف الجرّ (إلى)، "السَّكَنُ: كلُّ (مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ) ويُطْمأَنُّ بِهِ مِن أَهْلٍ وغيرِهِ" (الزبيدي، 2001، صفحة 199). وممّا يُستشهد به لأصل الفعل، قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾[الرّوم: 21].

فقوله على الصّورة الّتي جاء بها، يرشد إلى حالة الاطمئنان الّتي أنس بها مع محبوبته، فدفعه ذا السّكون إلى أن يعقد نفسه بنفسها. فيكون تقدير الكلام: عقدت نفسي بنفسها ساكنا إليها.

قال متغزّلا بعبدة:

فَـــإِنْ يَـــكُ عَنِّـــي وَجْهُهَـــا الْيَـــوْمَ غَائِبًـــا فَلَـــيْسَ فُـــؤادِي مَـــنْ هَواهـــا بِغائِـــبِ

(بن برد، 2007، صفحة 231) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (غاب) في الاستعمال اللّغوي متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، يقول ابن منظور في تعريفه الغيب: "والغَيْبُ: كلُّ مَا غَابَ عَنْكَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 654)، وفي الصّحاح: "غاب عنه غَيبةً وغيبا وغيابا وغيوبا ومغيبا" (الجوهري، 1987، صفحة 196). وقد جاء الفعل على الأصل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الانفطار: 16]، وفي صدر البيت ذاته، أورد بشّار الفعل على أصله.

غير أنّه جاء بالعجز متعدّيا بحرف الجرّ (من)، وذلكم لتضمّنه الفعل (تبرّأ) الّذي يتعدّى بحرف الجرّ المذكور، ففي لسان العرب: "وتَبَرَّأْتُ مِن كَذَا وأَنا بَراءٌ مِنهُ وخَلاءٌ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 32)، وفيه يقول الله –تعالى–: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾[البقرة: 166].

وبشّار ختم القصيدة الّتي يشكو فيها حبّ عبدة إذ سبّب له حمّى أعقبته بـــردا شـــديدا، وجعـــل لعيونـــه احمرارا لازمه بسبب البكاء على فراقها، ختمها بالبيت السّابق، مصرّا على حبّها على الرّغم ممّا عاناه فيه، فكأنّه يقول: مع كلّ ما نابني من مكاره، وعلى الرّغم ممّا نزل بي من ألم جرّاء حبّها وفراقها، إلّـــا أنّ قلبي غير غائب عنها، ولا متبرّئ منها.

يقول مفتخرا بشهرته:

أَحِـــينَ أَشَـــارَتْ بِـــي الأَكُـــفُّ مُعيـــدَةً وَحَفَّـــتْ بـــيَ الْحَمْـــراءُ خرْقًـــا مُعَصَّـــبَا

(بن برد، 2007، صفحة 270) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (أشار) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، فقد جاء في لسان العرب: "وأَشار الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشـــارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه. وَيُقَالُ: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه أَي لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضاً. وأَشارَ إِليه باليَدِ: أَوْمـــأَ" (ابن منظور، 1414هـــ، صفحة 437)، وجاء في كتاب الله –تعالى–: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾[مريم: 29].

إلّا أنّ الشّاعر جاء به متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، وذلكم لما يتضمّنه من معنـــى (الالتصـــاق)، فالفعـــل (التصق) يتعدّى بحرف (الباء)، ففي الصّحاح: "لَسِقَ به ولَصِقَ به، والْتَسَقَ به والْتَصَقَ به، وأَلْسَقَهُ بـــه غيره وأَلْصَقَهُ به غيره" (الجوهري، 1987، صفحة 1549)، وفيه يقول حسّان بن ثابـــت –رضـــي الله عنه: (بن ثابت، 1994، صفحة 92):

وذا نَطَـــفٍ يَسْـــعَى، مُلَصِّـــقَ خـــدِّهِ بِدِيبَاجَـــةٍ، تَكفافُهـــا قـــدْ تَقَـــدّدا

وقد أشار ابن عاشور أيضا إلى ما سبق، فقال في شرح البيت: "عدّى فعـــل (أشـــار) بالبـــاء، وحقّـــه أن يعدّى بإلى، كأنّه قصد قرب لصوق الأكفّ بذاته من كثرة الإشارة إليه" (بن بـــرد، 2007، صـــفحة 270).

فيكون تقدير كلام بشّار: أشارت إليّ الأكفّ ملتصقةً بي. وفي البيت يفخر بشّار بنفسه موجّها، قبله وبعده، لوما حادّا ليحيى بن زياد وقد تخلّى عنه، فيقول مفتخرا إنّ النّاس كلّها، عربا وعجما، عرفوه وأشارت إليه أكفّهم ملتصقةُ به.

قال يرثي ولده:

لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ "مُحَمّد" لو أنّ المَنايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ

(بن برد، 2007، صفحة 279) (بحر الطّويل)

في لسان العرب: "وَيُقَالُ: ارْعَوَى فُلَانٌ عَنِ الْجَهْلِ يَرْعَوِي ارْعِوَاءً حَسَناً ورَعْوى حَسَنَةً، وَهُوَ نُزُوعُه وحُسْنُ رُجوعهِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 328). وفي الصّحاح: "وقد ارعوى عن القبيح" (الجوهري، 1987، صفحة 359)، فيلاحظ تعدّي الفعل (ارعوى)، بوساطة حرف الجرّ (عن). وفيه يقول ابن أبي ربيعة (أبي ربيعة، 1996، صفحة 403):

فَارْعَوى عَنْهَا بِصَبرٍ، بَعْدَما كَانَ عَنْهَا زَمَناً لا يَرْعَوي

غير أنّه جاء في بيت بشّار السّابق متعدّيا بحرف الجرّ (اللّام)، وذلكم لما يحمله من معنى الاستجابة، فالفعل (استجاب) متعدّ بحرف اللّام، وقد دلّ عليه ما جاء في اللّسان: "واستَجْوَبَه واستَجابَه واستَجابَ لَهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 283)، وقال بشّار في بيت لاحق للبيت المذكور:

دَعَتْهُ المَنَايَا فاسْتَجَابَ لِصَوْتِها فَلَلّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبِ

وهو في ذي القصيدة يرثي ابنا أصيب به، متمنّيا لو كان ولده امتثل للدّواء، فرجعت المنيّة مستجيبة لطبيبه، غير أنّ الولد، محمّدا، استجاب للمنايا، ولم يكن ثَمّ أثر للطّبيب وفعله! وبهذا يكون تقدير الكلام: لو أنّ المنايا ترعوي مستجيبةً لطبيب.

قال مادحا داود بن حاتم:

وَجَّهْتَ عَنْ بِنْتِ السَّبِيلِ سَبِيلَهُ بِمَحالَةٍ وَرَدَعْتَهُ بِجَوَابِهِ

(بن برد، 2007، صفحة 309) (بحر الكامل)

يتعدّى الفعل (وجّه) في الاستعمال اللّغويّ، بحروف الجرّ: (في)، و(اللّام)، و(إلى)، وفي ذلكم قول الجوهريّ: "وجَهته في حاجةٍ، ووَجَّهْتُ وجهي لله سبحانه" (الجوهري، 1987، صفحة 2255)، وفي المحكم: "وَجَّهَ إِلَيْهِ كَذَا: أرْسله" (ابن سيده، 2000، صفحة 398). وفي تعدّيه بحرف (اللّام)، يقول الله –سبحانه–: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[الأنعام: 79].

أمّا في بيت بشار، فقد جاء متعدّيا بحرف الجرّ (عن)؛ وذلكم لتضمّنه معنى الفعل (صرف)، الّذي قد يتعدّى بحرف الجرّ (عن)، ودليله: "الصَّرْفُ ردُّ الشيءِ عن وَجْهِه... صارَفَ نَفْسَه عن الشيءِ صَرَفَها عنه" (ابن سيده، 2000، صفحة 301). وفيه يقول تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران:152].

فالشّاعر يمدح داود بن حاتم، ويقول إنّه قادر على هزيمة خصمه بقوّة حجّته وصواب منطقه، فيوجّه الخصم إلى طريق بيّن، صارفا إيّاه عن بنت السّبيل، الّتي يُكنّى بها عن الباطل.

قال في الغزل:

فَإِنْ تَنْصَبِي يَوْمًا إِلَى لَمَّةِ الهَوى فَإِنّي بِمَا أَلْقَى إِلَى تَلْكَ أَنْصَبُ

(بن برد، 2007، صفحة 313) (بحر الطّويل)

أصل الفعل (نصب) اللّزوم، أو التّعدّي بحرف الجرّ (في)، مفيدا معنى (تعب)، فقد جاء في لسان العرب: "نصب: النَّصَبُ: الإِعْياءُ مِنَ العَناءِ. والفعلُ نَصِبَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، نَصَباً: أَعْيا وتَعِبَ؛ وأَنْصَبه هُوَ، وأَنْصَبَني هَذَا الأَمْرُ. وهَمٌّ ناصِبٌ مُنْصِبٌ: ذُو نَصَبٍ، مِثْلُ تامِرٍ ولابِنٍ، وَهُوَ فاعلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، لأَنه يُنْصَبُ فِيهِ ويُتْعَبُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 758)، وقال بشّار في بيت سابق (بن برد، 2007، صفحة 155):

أَنْـــتَ امْـــرُؤٌ فِـــي سُـــخْطِنا ناصـــبٌ وَمِـــــنْ هَوانـــــا نـــــازِحٌ نَـــــاء

أمّا الإتيان به متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، فراجع إلى تضمّنه معنى الفعل (مال) "[ميل] {مالَ إليهِ يَميـلُ} مَيْلاً {ومَمالاً} ومَمِيلاً" (الجوهري، 1987، صفحة 433)، وفيه قال الشّـريف المرتضـى: (الشـريف المرتضى، 1997، صفحة 39).

يميـــلُ إليـــك مـــن كلَـــفٍ ولكـــنْ إلـــى مَـــن لا يميـــلُ إليْـــهِ مَـــيْلا

فالشّاعر يوجّه كلامه إلى المحبوبة، قائلا لها: إن كنت قد جرّبت الميل مرّة إلى شدّة الهـوى، ونصـبت في ذلكِ الميل، فإنّي ألاقي هذه الشّدّة دوما، لكنّي دائم الميل إليها مستمرّ النّصب فيهـا! فيكـون تقـدير الكلام: إن نصبت مائلةً إلى الهوى، فإنّي أنصب مائلا إليك.

قال مادحا الخليفة المهديّ:

إنّ الّـــــذي أنْعَمَـــــتْ خِلافَتُـــــهُ بِالنّـــــاسِ حَتّـــــى تَنـــــازَعُوا سَـــــبَبا

(بن برد، 2007، صفحة 346) (بحر المنسرح)

يُستعمل الفعل (أنعم) في الأصل اللّغويّ متعدّيا بنفسه، أو بحرف الجرّ (على)؛ جاء في اللّسان: "نْعَمْـتَ عَلَى فلانٍ أَيْ أَصرْتَ إِلَيْهِ نِعْمةً. وتَقُولُ: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ، مِنَ النِّعْمة. وأَنْعَمَ اللهُ صَباحَك، مِـنَ النُّعُومـةِ" (ابن منظور، 1414هـ، ص581)، وشاهد ذلكم قوله –تعالى–: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفاتحة: 7].

إلّا أنّ الفعل جاء متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، لما يفيده من معنى الفعل (رأَف)، الّذي قـد يتعـدّى بـذا الحرف، فقد جاء في الصّحاح: "الرَّأْفَةُ: أشدُّ الرحمةِ. أبو زيد: رَؤُفْتُ بالرجل أَرْؤُفُ به رَأْفَـةً ورَآفَـةً، ورَأَفْتُ به أَرْأَفُ، ورئفت به رأفا. قال: كلّ من كلام العرب" (الجوهري، 1987، صفحة 1362). وجاء قول الله –تعالى–: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[البقرة:207]، مصداقا لذا التّعدّي، جاعلا تقـدير الكـلام: أنعمت خلافته على النّاس رائفا بهم.

فالشّاعر راغب في إبداء فضل المهديّ، وحسن تعامله مع رعيّته مبديا إنعامه عليهم، وقد صحب ذلكم الإنعام الرّأفة بهم، فلم يكن منعما عليهم متمنّنا، بل كان رائفا بهم رحيما!

يقول في الغزل:

وَإِنْ شَهِدَتْ عَيْنٌ صَفَحْت وَأَعْرَضَتْ إِلَى عَينِهِ الْعَيْنُ الَّتِي سَتَغِيبُ

(بن برد، 2007، صفحة 212) (بحر الطويل)

يأتي الفعل (أعرض) متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، فقد جاء في اللّسان: "...أَعْرَضَ عَنِ الشّيْءِ إِذا ولّاه ظَهْرَهُ، وَقِيلَ: أَراد مُعْرِضاً عَنِ الأَداءِ مُوَلّياً عَنْهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 176). وجاء قول الله –تعالى– دليلا على الأصل، فيقول –سبحانه–: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:124].

إلّا أنّ الفعل في البيت الشّعريّ جاء متعدّيا بجرف الجرّ (إلى)، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (توجّه) الّذي يتعدّى بـ(إلى)، إذ جاء في لسان العرب: "توَجّه إِلَيْهِ: ذَهَبَ"(ابن منظور، 1414هـ، صفحة 556). ليكون تقدير الكلام: أعرضت عن عين متّجها إلى العين الأخرى. فالشّاعر يُظهر إعراضه عن المحبوبة إذا ما بانت لهما عينٌ ترقبهما، ويُعرِض عنها موجّها نظره إلى العين الّتي شاهدتهما.

قال في قصيدة نسيب ناصحا:

لَيْسَ مَنْ قَابَلَ الأُمورَ وَحِيدًا بَحَلِيمٍ فِيهَا وَلَا بِمُصِيبِ

(بن برد، 2007، صفحة 224) (بحر الخفيف)

يأتي الفعل (حلُم) لازما، أو متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، فقد جاء في لسان العرب: "وحَلُمَ، بِالضّمِّ، يحْلُم حِلْماً: صَارَ حَليماً، وحلُم عَنْهُ وتَحَلّم سَوَاءً". (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 146)

لكنّه جاء في البيت الشّعريّ متعدّيا بحرف الجرّ (في)، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (ولج)، الّـذي قد يتعدّى بحرف الجرّ (في)، ففي مقاييس اللّغة: "كلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى دُخُولِ شَيْءٍ. يُقَالُ وَلَجَ فِي مَنْزِلِهِ وَوَلَجَ الْبَيْتَ يَلِجُ وُلُوجًا" (ابن فارس، 1979، صفحة 142)، وجاء الفعل على أصله في قـول الله –تعـالى–: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف:40].

وفي البيت وما بعده حكمة يقول فيها إنّ الإنسان بحاجة إلى ناصح ومرشد، فيقول:

فاستَشِـرْ نَاصِـحًا أَرِيبًـا فَـإِنَّ الْـ ـحظّ فـي طاعـةِ النّصـيحِ الأَرِيـبِ

فالمرء إن ولج في أمرٍ وحده؛ لم يكن حليما ولم يُصِب فيه. وبهذا يكون تقدير الكلام: ليس بحليمٍ والجًـا فيها.

قال في محبوبته سلمى:

وَلَقَـدْ قُلْـتُ لِسَـلْمَى إِذْ تَعَيّـاتِي طَبِيبِـي

(بن برد، 2007، صفحة 247) (بحر الرّمل)

يأتي الفعل (عيّ) متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، وبرهانه ما جاء به الفيرزوآبادي في القاموس المحيط، إذ يقول: "عَيِّ بالأمْرِ، كرَضِيَ، وتَعايا واستَعْيا وتَعَيَّا: لم يَهْتَدِ لِوَجْهِ مُرادِهِ، أو عَجَزَ عنه، ولم يُطِقْ إحْكامَه" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1316).

غير أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بنفسه، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (هجر)، الّتي يتعدّى بنفسه؛ جاء في المحكم: "هجَرَهَ يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْرانا: صرمه" (ابن سيده، 2000، صفحة 155). وجاء قول الله –سبحانه–: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:46] مطابقا لأصل الفعل. وعلى هذا، يكون تقدير الكلام: تعيّا بي طبيبي هاجرا إيّاي.

والشّاعر في القصيدة يظهر وجده واشتياقه إلى سلمى، إذ شغفه حبُّها، وجعله مريضا لا يقوى على شيء، فيخاطبها موضّحا حاله الّذي صعُب على الطّبيب فهجره؛ علّها تُشفِق عليه.

قال في الغزل:

وَكَلَتْ بِي جَارَتِي أُسْهودةً شَرَّ مَا وُكِلَ بالْجَارِ الْجُنُبْ

(بن برد، 2007، صفحة 363) (بحر الرّمل)

الأصل في الفعل (وكل) التّعدّي بحرف الجرّ (إلى)، إذ جاء في لسان العرب: "وَكَلْت أَمري إِلى فُلَانٍ أَي أَلجَأْتُه إِليه وَاعْتَمَدْتُ فيهِ عَلَيْهِ، ووَكّلَ فلانٌ فُلَانًا إِذا استَكْفاه أَمرَه ثِقةً بكِفايتِه أَو عَجْزاً عَنِ القِيام بأَمر نَفْسِهِ. ووَكَلَ إِليه الأَمرَ: سلّمه. ووَكَلَه إِلى رأْيه وَكْلًا ووُكُولًا: تَرَكَهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 734). ومن أشهر الشّواهد على ذلكم، دعاء رسول الله –عليه السّلام–: "فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين" (ابن حنبل، 2001، صفحة 75).

غير أنّ الشّاعر جاء به متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، لتضمّنه معنى الفعل (ناط) الّذي يتعدّى بحرف الجرّ (الباء)، فيقول ابن منظور: "نوط: ناطَ الشيءَ يَنُوطُه نَوْطاً: عَلّقه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 418)، وفيه يقول أبو تمّام (أبو تمام، 1992، صفحة 109):

نِيطَتْ قَلائِدُ عَزْمِهِ بِمُحَبِّرٍ مُتَكَوِّفٍ مُتَدَمْشَقٍ مُتَبَغْدِدِ

فبشّار يعاني من السّهر الّذي وكلته إليه محبوبته منوطا به.

قال متغزّلا:

فَاكْشِفِي مَا بِنَا وَعُودِي عَلَيْنَا قَدْ لَقِينَا إِلَيْكِ فِي الْحُبِّ حَسْبَا

(بن برد، 2007، صفحة 367) (بحر الخفيف)

يأتي الفعل (عاد) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وفي معجم الجوهريّ: "عَادَ إِليه يَعُودُ عَوْدَةً وعَوْداً: رَجَعَ" (الجوهري، 1987، صفحة 513). وعلى الأصل يقول أبو العلاء المعرّي (المعرّي، 1983، صفحة 603):

تَعـــــودُ إلـــــى الأرضِ أجســـــادُنا ونَلحَـــــقُ بالعُنصُـــــرِ الطّـــــاهرِ

غير أنّ مجيئه متعدّيا بحرف الجرّ (على)، أفاد تضمّنه معنـى الفعـل (عطـف)، المتعـدّي بـالحرف المذكور، في اللّسان: "وعَطَفْت عَلَيْهِ: أَشْفَقْت" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 249). وجاء الفعل على أصله في قول حسّان بن ثابت: (بن ثابت، 1994، صفحة 36)

هَـلاّ عَطَفْـتَ علـى ابـنِ أُمِّـكَ إذ ثَـوَى قَعْـصَ الأسِـنّةِ ، ضَـائِعَ الأسْـلابِ

فكأنّ تقدير الكلام صائر إلى: عودي إلينا عاطفة علينا.

قال في النّسيب:

ويَـوْمَ ذَكَرْتُهـا فِـي الشّـرْبِ إتّـي إذَا عَـرَضَ الْحَـدِيثُ بِهَـا اعْتَـدَيْتُ

(بن برد، 2007، صفحة 5) (بحر الوافر)

يأتي الفعل (عرض) بمعان متعدّدة، ويأتي بأحوال مختلفة، فيأتي متعدّيا بنفسه، أو قد يحتاج إلى حـرف الجرّ (على)، أو (اللّام)، بمعنى: أظهر، وأبرز. فقد جاء في لسان العرب: "وعَرَضَ لَـهُ أَمْـرُ كَـذَا أَي ظَهَرَ. وعَرَضْتُ عَلَيْهِ أَمر كَذَا وعَرَضْتُ لَهُ الشّيْءَ أَي أَظهرته لَـهُ وأَبْرَزْتُـه إِليـه" (ابـن منظـور، 1414هـ، صـفحة 168). وجـاء قـول الله تعـالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: 31] موافقا لاحتياج الفعل إلى حرف الجرّ (على). وقوله تعـالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾[الكهف: 100]، مطابق لتعدّي الفعل بحرف الجرّ (اللّام).

غير أنّ بشّارا جاء بحرف الجرّ (الباء) مع الفعل، وذلكم لما يتضمّنه من معنى الفعل (ذكّر)، الّـذي قـد يتعدّى بحرف الجرّ (الباء)، ومثالـه قولـه تعـالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السّجدة: 22].

فيكون تقدير الكلام: إذا عرض مع الأصدقاء الحديثُ عنها، مذكّرا بها، أعرضت وتجاوزت، كي لا يظهر حبّي لها.

قال في سعدى:

وتَرَكْتِهِ نِصْبًا إليكِ بِحَاجَةٍ كَيمْا يَزِيدُ، وويْلُهِ إنْ زَادا

(بن برد، 2007، صفحة 122) (بحر الكامل)

يأتي الفعل (نصب) لازما أو متعدّيا بحرف الجرّ (في)، فقد ورد في لسان العرب: "نصب: النّصَبُ: الإِعْياءُ مِنَ العَناءِ. والفعلُ نَصِبَ الرجلُ، بِالْكَسْرِ، نَصَباً: أَعْيا وتَعِبَ؛ وأَنْصَبه هُوَ، وأَنْصَبَني هَذَا الأَمْرُ. وهَمٌّ ناصِبٌ مُنْصِبٌ: ذُو نَصَبٍ، مِثْلُ تامِرٍ ولابِنٍ، وَهُوَ فاعلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، لأَنه يُنْصَبُ فِيهِ ويُتْعَبُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 758)، وجاء بشّار ذاته بالفعل على أصله في بيت يقول فيه: (بن برد، 2007، صفحة 155)

أَنْتَ امْرُؤٌ فِي سُخْطِنا ناصِبٌ وَمِنْ هَوانا نازِحٌ نَاءِ

بينما الأصل ذلكم، جاء الفعل متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، لما فيه من تضمّن لمعنى القصد، الّذي يتعدّى بحرف الجرّ (إلى). جاء في صحاح العربيّة: "والقَصْدُ: إتيان الشّيْءِ. تَقُولُ: قصَدْتُه وقصدْتُ لَهُ وقصدْتُ إِليه بِمَعْنًى" (الجوهري، 1987، صفحة 524).

فالشّاعر يريد أنّه ينصب في حبّه قاصدا إلى محبوبته، غير أنّها تصدّه.

قال في وصف الخمر:

نَلْهُو إِلَيْهِ وَنَشْكُو بَثّ أَنْفُسِنَا فِي سَلْوَةٍ وَزَوَالُ اللّيْلِ قَدْ أَفِدَا

(بن برد، 2007، صفحة 143) (بحر البسيط)

يتعدّى الفعل (لهو) بحرف الجرّ (الباء)، ودليله ما ورد في لسان العرب: "واللّهْوُ: اللّعِب. يُقَالُ: لهَـوْتُ بِالشّيْءِ أَلهُو بِهِ لَهْواً وتَلَهّيْتُ بِهِ إِذا لَعِبتَ بِهِ وتَشاغَلْت وغَفَلْتَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 259). وممّا يُستأنس به على الأصل، قول ابن المعتزّ (ابن المعتز، صفحة 449):

ولَهَـوْتُ مِـنْ لَهْـوِ النُّفُـوسِ بِغَـادَةٍ تَحْكِـي بِنَغمَتِهَـا الحمَـامَ المُولَهَـا

غير أنّ مجيء الفعل متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، يقود إلى تفسيره بالتّضمين، إذ ضُمّن فعلُ اللّهو، معنى فعلِ السّعي، الّذي يتعدّى بالحرف المستخدم، إذا كان بمعنى الفعل (مضى، أو قصد)، ففي اللّسان: "سَعَى إِذَا عَدَا، وسَعَى إِذَا مَشَى، وسَعَى إِذَا عَمِلَ، وسَعَى إِذَا قَصَدَ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 385).

ومن ذلكم قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: 9]، وينقل ابن منظور قراءة ابن مسعود للآية الكريمة السّابقة، إذ قرأ: "فامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ".

وقد قال بشّار البيت السّابق في سياق وصفه إبريق الخمر، فيريد أن يظهر شغفه بالخمر، بقوله إنّه كان يلهو بها، ساعيا إليها.

قال في سعدى على لسانها:

قَصَـرْتُ طَرْفِـي إِلَيْـكَ قَانِعَـةً وَأَنْـتَ ذُو طُـرَّتَيْنِ فِـي بَـرَدِ

(بن برد، 2007، صفحة 6) (بحر المجتثّ)

يأتي الفعل (قصر) متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، في ذلكم قال ابن منظور: "قَصَرَ عَنِ الأَمر يَقْصُر قُصُوراً وأَقْصَر وقَصَّرَ وتَقَاصَر، كُلُّهُ: انْتَهَى... قِيلَ: قَصَرَ عَنْهُ تَرَكَهُ وَهُوَ لَـا يَقْـدِرُ عَلَيْـهِ" (ابـن منظـور، 1414هـ، صفحة 98)، أو يأتي متعدّيا بحرف الجرّ (على) مفيدا معنى الاكتفاء، ففي اللّسان أيضا، في الصّفحة ذاتها: "يُقَالُ: قَصَرْتُ نَفْسِي عَلَى الشّيْءِ إِذا حَبَسْتَهَا عَلَيْهِ وأَلزمتها إِياه".

غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، لتضمّنه معنى الفعل (سعى) الّذي يتعدّى بالحرف (إلـــى)، فقـــد جاء في اللّسان: "سعى:... وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى المُضِيِّ عُدِّيَ بِإِلَى، وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى العَمَـــل عُـــدِّي بِاللّـــامِ. والسَّعيُ: القَصْدُ". (ابن منظور، 1414هـــ، صفحة 385)

فيكون توجيه الكلام عند بشّار: قصرت طرفي عليك ساعيةً إليك. وفيه وما سبقه عتاب من المحبوبة، إذ هي متعلّقة به، تقصر طرفها عليه ساعية إليه، وهو دائم النّظر إلى نساء غيرها!

يقول في النّسيب:

أُصَارِعُ نَفْسًـــا فِـــي الهَـــوى قَـــد تَجَـــرّدَتْ لِتَصْـــرَعَنِي حَتّـــى ارْعَوَيْـــتُ إِلـــى الجَمْـــدِ

(بن برد، 2007، صفحة 8) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (ارعوى) متعدّيا بحرف الجرّ (عن)، ففي تاج العروس: "(وَقد} ارْعَوى) عَن القَبـــيحِ: كَـــفّ عَنهُ" (الزبيدي، 2001، صفحة 162). وقد جاء قول عمر بن أبي ربيعة موافقا للأصل، إذ يقول (أبـــي ربيعة، 1996، صفحة 304):

فـــــارْعَوَى عَنْهـــــا بِصَـــــبْرٍ بَعْـــــدَمَا كَـــــانَ عَنْهـــــا زَمَنـــــاً لا يَرْعَـــــوي

إلّا أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى) لتضمّنه معنى الفعل (رُدّ)، الّذي يتعدّى بحرف الجرّ (إلى)، إذ جاء في اللّسان: "رَدَّه إِلى مَنْزِلِهِ ورَدَّ إِليه جَوَابًا أَي رَجَعَ" (ابن منظور، 1414هـــ، صـــفحة 173)، ودليـــل ذلكم قول الله تعالى:﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: 62]. وبهذا يكون تقدير كـــلام بشّـــار: ارعويتُ عن الصّراع، مردودا إلى السّكون.

وهو في البيت يُبين عن شدّة تعلّقه بمحبوبته حتّى وصف ذلكم بالصّراع، غير أنّه يُغلَب فيستكين.

يقول مادحا رَوْح بن حاتم:

تَثُـــوبُ لَـــكَ الْقَبَائِـــلُ مُجْلِبـــاتٍ كَمَـــا ثَابَـــتْ عَلَـــى النُّصُـــبَيْنِ عَـــادُ

(بن برد، 2007، صفحة 56) (بحر الوافر)

يأتي الفعل (ثاب) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، فقد ورد في لسان العرب: "وأَثابَ الرَّجلُ: ثابَ إِلَيْهِ جِسْـمُه وصلَح بَدَنُهُ. التَّهْذِيب: ثابَ إِلَى العَلِيلِ جِسْمُه إِذَا حسُنَتْ حالُه بعْدَ تَحوُّلِه ورجَعَتْ إِلَيْـهِ صِـحَّتُه"(ابـن منظور، 1414ه، ص243). وفي ذلكم قال ابن الرّوميّ (الرومي، 2002، صفحة 171):

ثِمـــــالاً للأَرامـــــلِ واليتـــــامى يثـــوبُ النـــاسُ منـــهُ إلـــى مَثَـــابِ

وقال بشّار ذاته في موضع آخر (بن برد، 2007، صفحة 283):

إِذَا مَـــا دَعَـــا ثَابَـــتْ إِلَيْـــهِ عَصَـــائِبٌ كـــرامٌ أعينـــوا بالصـــلاة وبالصـــبر

غير أنّه جاء بالفعل متعدّيا بحرف الجرّ (على)، لتضمينه معنى الفعل (عكف)، فقد جاء في توضيحه في اللّسان: "عَكَف عَلَى الشّيْءِ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفاً وعُكُوفاً: أَقبل عَلَيْهِ مُواظِباً لَا يَصْرِفُ عَنْهُ وَجْهَهُ" (ابـن منظور، 1414هـ، صفحة 255)، وفيه يقول الله تعـالى: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: 138]. فيكون تقدير الكلام: ثابت عاد إلى النّصبين عاكفة عليها.

المبحث الخامس: تضمين الفعل المتعدّي بمفعول معنى فعل متعدّ بمفعولين

قال في وصف اللّيل:

حَمِيَـــتْ بِـــهِ عَيْنِـــي وَعَـــيْنُ مَطِيّتِـــي لَذِيـــذَ الْكَـــرَى حَتّـــى تَجَلّـــتْ عَصَـــائِبُه

(بن برد، 2007، صفحة 327) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (حمي) متعدّيا إلى مفعول واحد، ففي لسان العرب: "وحَمَى الشيءَ حَمْيـاً وحِمـىً وحِمايـة ومَحْمِيَة: مَنَعَهُ وَدَفَعَ عَنْهُ" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 198)، غير أنّ بشّارا جاء به متعـدّيا إلـى

مفعولين، وذلكم لما يتضمّنه من معنى (المنع). يقول الزّمخشريّ: "منعه الشيء ومنعَــه منــه وعنــه" (الزمخشري، 1998، صفحة 229). ويقول بشّار على الأصل: (بن برد، 2007، صفحة 186)

منعــتُ قيــادي غيرَهــا حــين رامَنــي وذلّــتْ بِمــا تَهْــوَى إليهــا مَقــاوِدِي

فكأنّ الشّاعر يرى في النّوم عدّوًا يحمي عينيه منه، ويمنعهما إيّاه. وعلى هذا يكون تقدير الكلام: حميتُ عيني مانعا إيّاها لذيذ الكرى.

الفصل الثّالث

بلاغة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

بلاغة التّضمين النّحويّ

بكوْن التّضمين واحدا من قضيّة خروج الأصل على الفرع؛ فإنّ ذلكم يدفع إلى التّساؤل: ما الغرض الّذي يؤدّيه التّضمين ليخرج على الأصل؟ وما السّبب الّذي حثّ مستخدم التّضمين على اللّجوء إليه؟ فكلّ ما كان خارجا على الأصل احتاج إلى التّعليل وتوضيح السّبب أو الغاية.

ولمّا كانت اللّغة العربيّة بحرا كنوزه المعاني وما يخدمها، كان الغرض البلاغيّ سببا رئيسا في تبرير ظاهرة التّضمين النّحويّ. فاللّغة متكاملة في علومها كافّة، وكلّ واحد منها يصبّ في مصلحة الآخر، فبخروج الفعل على أصله نحويّا، معنى يقدّمه ويفيده، ما كان ليتمّ لولا ذا الخروج.

وممّا أجمع عليه العلماء حول فائدة التّضمين، أنّه يؤدّي معنيين في كلمة واحدة. فيقول الزّمخشريّ مثلا في توضيحه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: 28]، إذ تعدّى الفعل (عدا) إلى حرف الجرّ (عن)، والأصل أن يتعدّى بنفسه، يقول: "فإن قلت: أيّ غرض في هذا التّضمين؟... قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ" (الزمخشري م.، 1987، صفحة 7).

ويقول ابن هشام في تعريفه: "قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه ويُسمى ذَلِك تضمينا، وَفَائِدَته أَن تُؤدِّي كلمة مؤدى كَلِمَتَيْنِ" (ابن هشام، 1985، صفحة 897)، وعرّفه أبو البقاء الكفويّ بقوله: "وَفَائِدَة التّضْمِين هِيَ أَن تُؤدِّي كلمة مؤدى كَلِمَتَيْنِ، فالكلمتان معقودتان مَعًا قصدا وتبعا" (الكفوي، صفحة 267)، وغيرهم كثير ممّن سبقهم أو لحقهم، فهموا حقيقة التّضمين والغرض الّذي يؤدّيه.

والتّعريفات تُثبت أنّ التّضمين مشروط بوجود قرينة تدلّ على الفعل المُضمَّن، فقول ابن هشام: "يعطونه حكمه" يعني تعلّق الفعل المذكور أو ما في معناه بشيء من لوازم الفعل المضمّن أو ما في معناه، فيقدّر العلماء حالا أو فعلا ليهدي إلى المعنى الّذي دلّت عليه لازمته.

فإذا تضمّن الفعل اللّازم معنى فعل متعدّ بحرف جرّ، يكون الجارّ قرينة تعلّقت بالفعل المذكور أو ما في معناه، ودلّت على الفعل المضمَّن أو على حاله. فمثلا يقول بشّار (بن برد، 2007، صفحة 30):

ظَمِئْتُ، فَلَمْ أَظْمَأْ إِلَى بَرْدِ مشْرَبٍ وَلَكِنْ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ ظَمِيتُ

فالفعل (ظمِئ) لازم في الاستعمال اللّغويّ، وفي مقدّمة البيت ذاته جاء على أصله (ظمئت)، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وبهذا يكون الفعل (ظمِئ) تعلّق بالجارّ، وهذا الجارّ دلّ على فعل أو حال محذوف، فنقدّر الحال (مشتاقا)، ليصير تقدير الكلام: ظمئتُ مشتاقا إلى وجه الحبيب. وبهذا يتحقّق الغرض الّذي أشار إليه الكفويّ في تعريفه السّابق، من انعقاد الكلمتين معا.

ولكون الغرض البلاغيّ الغاية الكبرى الّتي يُلجَأ إلى التّضمين تحقيقا لها؛ أوصى مجمع اللّغة العربيّة: "ألّا يُلجأ إلى التّضمين إلا لغرض بلاغي" (حسن، صفحة 594). ولأجل ذلكم اشترط العلماء أن يكون هناك اختلاف في معنى فعلي التّضمين أو ما في معناهما، وأن يرتبطا بمناسبة، كي لا تكون العلاقة بينهما التّرادف حسب (مباركة، 2011). فمثلا، في بيت بشّار الّذي يقول فيه (بن برد، 2007، صفحة 138):

تعجّبَتْ جارتي مِنّي وقدْ رَقَدَتْ عَنّي العُيونُ وباتَ الهمُّ محْتَشِدا

تضمّن الفعل (رقد) معنى الفعل (غفل)، لأنّ الفعل المذكور تعلّق بشيء من لوازم الفعل (غفل)، ولا يخفى أنّ لكلّ فعل معنى مغايرا عمّا يؤدّيه الآخر، فالرّقود مختلف تماما عن الغفلة.

أمّا تحقّق المناسبة بين فعلي التّضمين أو ما في معناهما، فتكون واحدة من علاقات المجاز، فالتّضمين مندرج تحت باب المجاز، وأسلفت الباحثة العلاقة بينهما في الفصل الأوّل. فمن علاقات المجاز، مثالا،

السّببيّة والمسبّبيّة، فيكون أحد فعلي التّضمين سببا في وقوع الآخر، سواء كان المذكور سببا أو العكس، فمن ذلكم قول بشّار في مديحه المهديّ (بن برد، 2007، صفحة 278):

جَـــزَى اللهُ مَهْـــدِيَّ الصَّـــلاةِ كَرَامَـــةً لَقَدْ فَلّ عَـنْ دِينِـي وَخَفّـفَ مِـنْ ظَهْـرِي

فقد تضمّن الفعل (فلّ) معنى الفعل (دافع)، والدّفاع سبب في الهزيمة، وعلى هذا يكون الفعل المضـمَّن سببا في المذكور، وعلى هذا يُقاس.

وبهذا التّقديم، يتّضح جليّا، أنّ التّضمين لا يأتي عبثا، إنّما لغاية بلاغيّة اشترطها العلمـاء وسـعوا إلـى توضحيها. وعلى هذا يكون التّضمين واحدا ممّا يلفت النّظر إلى شعر الشّاعر، إن أجاد توظيفه.

وفي هذا الفصل، تناولت الباحثة بعض شواهد التّضمين في شعر بشّار، لتبين عن الغرض البلاغيّ الّذي أدّاه التّضمين فيها، وتكشف عن أسرار المعاني الّتي أرادها الشّاعر، فلجأ إلـى التّضـمين فـي سـبيل إبرازها.

بلاغة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد

طَرِبْـتُ إِلَـى "حَوْضَـى" وَأَنْـتَ طَـرُوبُ وَشَـاقكَ بَـيْنَ "الأَبْـرَقيْنِ" كَثِيـبُ

(ابن برد، 2007، صفحة 208) (بحر الطويل)

يأتي الفعل (طرب) في الاستعمال اللّغويّ لازما، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)؛ وذلكـم لمـا يتضمّنه من معنى الفعل (توجّه)، ليكون تقدير الكلام: طربت متوجّها إلى "حوضى".

في هذه القصيدة، الّتي موضوعها النّسيب، يجرّد بشّار من نفسه شخصيّة أخرى يخاطبها ويوجّه الكـلام إليها، معبّرا عن اشتياقه إلى سعدى، متّبعا في ذلكم نهج الجاهليّين، الّذين اعتمدوا المقدّمة الطّلليّـة فـي قصائدهم.

فيبدأ بشّار بالوقوف على رسم المحبوبة، الّذي ما زال يذكّره بها، ويُهيج أشواقَه إليها، حتّى صارت ذي الأطلال مصدرا يتوجّه إليه بشّار ليفوز بلحظات تذكّره بسعدى، كان قد عاشها وإيّاها، إذ يقول لاحقا:

إِذَا زُرْتَ أَطْلَـــالا بَقِـــينَ عَلَـــى اللّـــوَى مَلَأْنَـــكَ مِـــنْ شَـــوْقٍ وَهُـــنَّ عَـــذُوبُ
مَتَـــى تَعْـــرِفِ الـــدّارَ الّتـــي بَـــانَ أَهْلُهَـــا بِسُـــعْدَى" فَـــإِنَّ الـــدَّمْعَ مِنْـــكَ قَرِيـــبُ
تَـــذَكّرُ مَـــنْ أَحْبَبْـــتَ إِذْ أَنْـــتَ يَـــافِعٌ غُـــلامٌ فَمَغْنَـــاهُ إِلَيْـــكَ حَبِيـــبُ

وبهذا يكون بشّار متعلّقا بأطلال المحبوبة تعلّقا يُنبئ بشدّة حبّه لسعدى الّتي ذهبت بلبّـه، فكـان يسـعى متوجّها إلى دارها ورسومها، طرِبا لذكرى تفيضها هذه الأماكن في نفسه، إذ كان يلتقي بسعدى فيها.

فلو كان بشّار قد اعتمد فعل الطّرب وحده، لظُنّ أنّه لم يتكلّف عناء التّوجه إلى تلكم الأماكن، وما كـان ليكتمل حبّه الّذي عبّر عنه في أبيات لاحقة، فحقيقة كماله شدّة المعاناة فيه! ولو كان استخدم فعل التّوجه وحده، ما كان ليظهر للسّامع طربه وتلهّفه وشوقه إلى أماكن استقرّت فيهـا المحبوبـة وتركـت فيهـا ذكرياتهما معا.

غير أنّه جاء بفعل متعدٍّ بلوازم فعل آخر، ليرشد القرّاء إلى الفعلين معا، فيبرز طربه إلى تلكـم الـدّيار واستعداده للتّوجّه إليها، معبّرا في ذلكم عن رغبته في الوصول إلى أيّ شيء قد يكون سبيلا في التّـنعّم بحبّ حُرِم منه، ليكون طرِبا له. فما كان لهذه البلاغة أن تتمّ لو لم يوظَّف التّضمين.

لَـــا أَشْـــتَهِي بِهَـــوَاهُ جنّـــةً أُنُفـــا ولـــوْ تَـــدَلّتْ لَنَـــا تِينًـــا وَأَعْنابـــا

(ابن برد، 2007، صفحة 234) (البحر البسيط)

يأتي الفعل (اشتهى) متعدّيا بنفسه، إلّا أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)، وهـذا بسـبب تضمّنه معنى الفعل (استبدل).

الشّاعر جاء في ذا البيت خلال قصيدة غزل بأسماء الّتي كان يحبّها، ثمّ تزوّجت غيره. فهو كلِفٌ غيـــر متخلٍّ عن حبّه ولا غائب عن هوى محبوبته، حتّى وإن لم تُكتَب له! بل هو مصرّ على إبانة هيامه بها، وتعلّقه بهواها، إذ يقول:

لَـــمْ أَنْسَـــهَا طَالَعَـــتْ مِـــنْ تَحْـــتِ كِلّتِهَـــا فَأَعْلَقَـــتْ عَامِرِيِّـــا بَعْـــدَ مَـــا شَـــابَا

وَاللهِ أَنْسَـــاكِ يَـــا "أَسْـــمَاءُ" مَـــا طَرَفَـــتْ عَيْنِـــي وَمَـــا قَرْقَـــرَ الْقُمَـــرِيُّ إِطْرَابَـــا

فيُقسم أن تظلّ حاضرة في قلبه ولا ينساها أبدا، فبقوله "والله أنساك" يقصد: لا أنساك، فحذف لا النّافيـــة مع القسم، عند العرب، كثير.

وهو بهذا يبوح بشدّة تعلّقه بها، وتفضيلها على أيّ نعيم آخر، حتّى إنّه لا يســتبدل بهواهـــا الجنّـــة ذات القطوف الدّانية، بل لا يشتهيها إذا ما حضر حبّ أسماء! ثمّ بعد ذلكم يسهب في وصـــف حســـنها كأنّـــه يبرّر لنفسه هذا القول العجب؛ إذ كيف للمرء ألّا يشتهي جنّة لم تُرعَ، لفتاة بشريّة؟ فيأتي على صـــفاتها واحدة واحدة، جمال عينيها، وحسن خدّيها، وألق نابها، كي يقول إنّه لا عجب ممّا قلت، بل إنّي جـــازم به!

فإتيان الفعل (أشتهي) متعدّيا بحرف الباء الّذي يتعدّى به الفعل (أستبدل)، يفيد معنييْن ما كانا لـــولا مـــا فعلَه. فهو من خلال هذه الظّاهرة –التّضمين–، جمع دلالتين في لفظ واحد معبّرا عن استغراقه في حبّ أسماء ناظرا إليه، وحده، بعين النّعيم، ولا شيء سواه!

أَنْـــتَ امْـــرُؤٌ فِـــي سُـــخْطِنا نَاصِـــبٌ وَمِـــــنْ هَوانَـــــا نَـــــازِحٌ نَـــــاء

(بن برد، 2007، صفحة 155) (بحر السّريع)

يتعدّى الفعلان (نزح، ونأى)، في الاستعمال اللّغويّ، بحرف الجرّ (عن)، إلّا أنّهما جاءا متعدّيين بحرف الجرّ (من)، لتضمّنهما معنى الفعل (فرّ).

ورد البيت السّابق في قصيدة يشكو فيها بشّار الحسّاد، إذ يبغضون رؤياه ومحبوبته متّفقيْن موصـــوليْن، ويمقتون هواهما، ويودّون لو أنّهما في سخط ونصب دائمين. وهو في ذا البيت تحديدا يوجّه خطابه إلى "عمرو"، وهو واحد من الوشاة الّذين يشكوهم، فيقول:

يَلُـــومُني "عَمْـــرٌو" عَلَـــى إِصْـــبَعٍ نَمَّـــتْ عَلَـــيَّ السِّـــرَّ خَرْسَـــاء
أَنْـــتَ امْـــرُؤٌ فِـــي سُـــخْطِنا نَاصِـــبٌ وَمَـــنْ هَـــوَانَا نَـــازِحٌ نَـــاءِ
كَأَنَّمَـــا أَقْســـمْتَ لا تَبْتَغِـــي بِـــرِّي وَلَـــا تَحْفِـــلْ بِإِيتَـــائِي

وليظهر للسّامع صعوبة ما يجد من هؤلاء الحسّاد، أبان عن شدّة مكرهم وامتلاء قلـوبهم حسـدا وغلّـا عليهما، بشّار ومحبوبته. فهم إذا رأوهما في حال من أحوال الودّ والوئام، ابتعدوا عنهما ونأوا، بل فرّوا من ذلكم اللّقاء!

فالفرار واقع لمن ينفر من الشّيء ويرهبه، ومن ذلكم قول الله –تعالى– في وصف الكفّار المعرضـين: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[المدّثر:50–51]، فهم يبغضون الحقّ وينفـرون منـه ويرهبونه، ما يجعلهم يفرّون منه فرار الحمر الوحشيّة من الأسود، أو الرّماة بتفاسير أخرى (الطبـري، 2001). وكذلكم كان حال الحسّاد، الّذين ما زالوا في تربّص دائم لهذين المحبّـيْن، فلمّـا كـان منهمـا الوصال واللّقاء، ابتعدوا عنهما فارّين منهما، إذ كانوا يتوقّعون أنّهم بحسدهم إيّاهمـا يفرّقـون بينهمـا ويشتّتونهما.

وما كانت الشّكاية ستأخذ مبلغها، ولا كان لها بليغ الأثر في نفوس السّامعين إلّا بمزيد توضـيح لحـال الوشاة والحسّاد، وبهذا التّضمين الوارد في البيت أفصح بشّار عن هذا المكر وهذا البغض بإبانة حـالهم حينما يكون اللّقاء، مبتعدين عنه فارّين منه.

يَـــا أَيُّهَـــا النَّـــازِي بِسُـــلْطَانِه أَدْلَلْـــتَ بِـــالْحَرْبِ عَلَـــى مِحْـــرَبِ

(ابن برد، 2007، صفحة 181) (بحر السّريع)

أصلا، يتعدّى الفعل (نزا) بحرف الجرّ (على) إلّا أنّ اسم الفاعل منه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (البـــاء)؛ لتضمّنه معنى (المستهين).

جاء هذا البيت ضمن قصيدة يمدح فيها بشّار ابن هبيرة، وهو والٍ، ويهجو فيها من همّ بالخروج عليـــه، وقد كانت جماعة تكيد له؛ للإيقاع بحكمه، فنظم بشّار هذه القصيدة مادحا الوالي هاجيا أعداءه، محـــذّرا إيّاهم من مواجهة ابن هبيرة، فهو شجاع مسعر الحرب.

وفي ذا البيت، استعان ابن برد بالتّضمين ليعبّر عن معنيين يبغاهما بلفظ واحد، مكمّلا إيّاهمـــا بالبلاغـــة والفصاحة.

فبشّار يحذّر هذه الجماعة الّتي زُيّن لها الخروج على الحكم، مستهينة به، مستخفّة بنفوذ سلطانه، وعـــزّة جاهه، ما دفعها لتنزو عليه. فهم، لولا استهانتهم بحكمه وجهلهم بعظيم قدره، ما سوّلت لهم أنفســـهم أن يستطيلوا عليه فيثبوا على ملكه!

وليوضّح هذا المقصد، الاستخفاف والاستهانة بالسّلطان، أتبع البيت بيتين آخرين يقول فيهمـــا إنّهـــم، أي الجماعة الخارجة، انغرّوا ببعضهم، وانساقوا لأوهامهم بأن يسقطوا الحكم، وهم لم يعرفوا ابـــن هبيـــرة تمام المعرفة، ولم يقدروه حقّ قدره؛ إذ يقول:

الْغَـــــيُّ يُعْـــــدِي فَاجْتَنِـــــبْ قُرْبَـــــهُ وَاحْـــــذَرْ بَغْـــــيَ مُعْتَـــــزِلِ الأَجْـــــرَبِ

أَنْهَـــاكَ عَـــنْ عَـــاصٍ عَـــدَا طَـــوْرَهُ وَأَلْهَـــبَ الْقَصْـــدَ عَلَـــى الْمُلْهِـــبِ

فهو إذن يصف هذه الجماعة المُؤلّبة، بأنّ منهم مَن عدا طوره، وتجاوز حدّه، إذ لم يعرف خصمه، ابـــن هبيرة، كما ينبغي، ما دفعهم للإقدام على معاداته. والأصل في المرء أن يكـــون مـــدركا لمـــن يُعـــادي ويُقاتل، وإلّا كان غاويا جاهلا.

ثمّ يكمل لإبانة هذا الخصم، الّذي اجتمعت ضدّه الجماعـــة المحرّضـــة، قـــائلا إنّ حربـــه، إن نواهـــا، ستغضبهم، وترهقهم، وإنّ الموت حليف له، متى خاض معركة بسط قبضته على أعدائه فيها، فينظم:

لَـــا تَعْجَـــلِ الْحَـــرْبَ لَهَـــا رَحْبَـــةٌ تُغْضِـــبُ أَقْوَامًـــا وَلَـــمْ تَغْضَـــبِ

إِنْ سَـــرَّكَ الْمَـــوْتُ لَهَـــا عَاجِلًـــا فَاسْـــتَعْجِلِ الْمَـــوْتَ وَلَـــا تَرقُـــبِ

وبالتّوضيح السّابق، تظهر الحاجة إلى التّضمين، إذ منح الشّاعرَ قدرة على التّعبير عن فكرتين تـامّتين، بلفظ واحد. فلو لم يكن هناك استهانة بالسّلطان، ما كان النّزو عليه.

فَـــأَرَتْنِي ثُـــمَّ شَـــطَّتْ شَـــطّةً تَرَكَـــتْ قَلْبِـــي إِلَيْهَـــا يَضْـــطَرِبْ

(بن برد، 2007، صفحة 363) (بحر الرّمل)

(اضطرب) فعل لازم في الاستعمال اللّغويّ، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلـى) لتضـمّنه معنـى الفعل (تاق).

وفي هذه القصيدة، يأتي الشّاعر على معاناته الّتي يعيشها لعلّة الهوى، راجيا أن تمـنّ عليـه محبوبتـه بوصال، أو حتّى بنظرة تقرّ عينه، بعد وصب ونصب، إذ يقول معبّرا عمّا يلاقيه:

أَرْقُـــبُ اللّيْـــلَ كَـــأَنّي وَاجِـــدٌ رَاحَـــةً فِـــي الصُّـــبْحِ مِـــن جَهْـــدِ التَّعَـــبْ

وَنَصِـــيحَيْنِ أَلَمَّـــا بَـــاكِرًا بِطَبِيـــبٍ، وَطَبِيبِـــي المُجْتَنَـــبْ

سَـــأَلانِي وَصْـــفَ مَـــا أَلْقَـــى، وَلَـــا أَسْـــتَطِيعُ الْوَصْـــفَ، إِنّـــي مُكْتَئِـــبْ

فالشّاعر عالم بما حلّ به، والأهمّ أنّه يعرف سبب ذلكم كلّه، غير أنّه لا يجد شفاءه عند طبيب ولا بتسلية صديق، إنّما هو راغب بالإتيان بمحبوبته حسب، فيقول:

يَـــا خَلِيلَـــيَّ، أَلِمَّـــا بِـــي بِهَـــا نَظْـــرَةً ثُـــمَّ سَـــلَانِي عَـــنْ وَصَـــبْ

فلمّا جاء بالفعل (اضطرب) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، أراد أن يجمع أمـرين معـا، يـرى ضـرورة ملازمتهما للإبانة عن حاله، فهو في حالة اضطراب، ما كان سببها إلّا توقه إلى المحبوبة، فهـو يقـول بعده:

مَـــا أَقَـــلّ الصَّـــبْرَ عَنْهَـــا بَعْـــدَمَا كَثُـــرَتْ فِينَـــا أَحَادِيـــثُ الْعَـــرَبْ

قَـــــرَّ عَيْنًـــــا بِحَبِيـــــبٍ نَظْـــــرَةً لَـــا يُقِـــرُّ الْعَـــيْنَ إِلَّـــا مَـــا تُحِـــبْ

فإذ هو بعيد عنها، قليل الصّبر عن غيابها، جزِع يلحقه الغمّ، يضطرب قلبه ويفقد توازنه، محتاجا إلـــى أن تقرّ عينه ويطمئنّ برؤيتها فقد غلبه الشّوق والحنين.

وهذه المعاني اكتملت باستخدام الفعل (يضطرب) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، مفيدا معنى (التّوق).

لمَعَـــــــتْ إلـــــــيّ تسُـــــــومُنِي لَعِـــــبَ الشّـــــبابِ وقـــــدْ طَوَيْتُـــــهْ

(بن برد، 2007، صفحة 19) (مجزوء الكامل)

أصل الفعل (لمع) اللّزوم، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)؛ وذلكم لما يتضمّنه من معنى (قصد).

كان بشّار كثير التّغزّل بالنّساء، دائم التّشبيب بهنّ، وكأنّ ذلكم رؤيته فـــي الـــدّنيا ومســـعاه، فضـــرورةً يصعُب عليه ترك عادة طُبع عليها في عشيّة وضحاها. إلّا أنّ المهديّ أمره بترك ذلكم كلّه، وألّا يتشـــبّب بامرأة قطّ، ولا يتعرّض، متغزّلا، لواحدة أبدا.

ورغم كون هذا الأمر ثقيلا على نفس بشّار، إلّا أنّه يريد أن يُري المهديّ منه خيرا، وأن يُظهر له نزوله على أمره، مطيعا غير متأفّف ولا غضبان، فنظم هذه القصيدة بعد أمر الخليفة، ويُبين فيها عن تعرّضه إلى ما كان يحبّ، وإلى ما كان، عادة، يرجوه، غير أنّ المهديّ مثُل أمامه بأوامره، فانتحى وامتثل!

ويأتي ذا البيت ليظهر أنّ امتثاله كان عن صدق ورغبة في الالتزام، فلو كانت الظّاهرة فتـــاة عاديّـــة، لتعدّاها، غير مكترث، وما كان ليظهر للمهديّ حقيقة التزامه بأمره. غير أنّه امتثل وقد قصدت إليه فتاة شديدة الحسن، متألّقة لامعة. فلو لم يكن للخليفة حبّ في قلب بشّار، ما كان ليترك ما يشتهي ويحبّ إلى ما لا يطيق ويبغض!

وكان لهذه المعاني أن تعتدل وتأخذ هيئتها المهيبة، بالتّضمين، إذ جعل الفتاة لامعة، قاصدة إليه. فلو كان منها اللّمعان حسب، وجاء الفعل لازما على أصله، لظُنّ أنّها مرّت مرورا عـــابرا، عارضـــة جمالهـــا وتألّقها لأيّ رائ، لكنّها كانت تقصده هو حسب، وترجو قربه وحده، ورغم ذلكم، عمل بما أقرّ المهديّ.

شَـــــحَطَ المَـــــزارُ بِـــــه ولَـــــوْ يَـــــدنو إليْـــــك شَـــــفاك قُرْبَـــــهْ

(ابن برد، 2007، صفحة 196) (بحر الكامل)

يتعدّى الفعل (دنا) بحرف الجرّ (من)، غير أنّه جاء متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وذلكم لتضـمّنه معنـى الفعل (اطمأنّ).

جاء بشّار بهذا البيت في قصيدة نسيب بعبدة بعدما تزوّجت، ويظهر فيها أنّها أبدت الحبّ للّـذي صـار زوجها، رغم عدم حبّه إيّاها، وتركت بشّارا يعاني الصّبابة والجوى، إذ يقول، مخاطبا نفسه:

أَحبِـــــبْ إلَـــــيَّ بـــــهِ وإنْ كـــــانَ الْوِصـــــالُ لِمـــــنْ يَرُبـــــه

أحْبَبْتَـــــهُ ونَـــــأى بِـــــهِ ودٌّ لِآخَـــــرَ لَـــــا يُـــحِـــــبُّه

ومَـــــنَ الْعَجَـائِـــــبِ أنّـــــهُ فِـــــي غَيْـــــرِ شِـــــعْبِكَ كَـــــانَ شِـــــعْبُه

فكان يتمنّى بشّار لو كانت هذه المحبوبة قد رأت تعلّقه بها وشغفه بها، الّذي أوضحه فـي وصـفه مـا يعانيه من أرق، فيقول:

فَـــــإذَا أَرَادَ النَّـــــوْمَ أَرَّ قَـــــهُ وسَـــــاوِسُ تَسْتَهِبِّـــــه

مِـــنْ ذِكْـــرِ مَـــنْ تَبَـــلَ الْفُـــؤا دَ فَحَسْـــبُهُ مِـــنْ ذَاكَ حَسْبُـــه

لو تعرف ذلكم فتدنو منه مطمئنّة إليه، غير مضطربة ولا فزِعة! وممّا هو معلوم أنّ الاطمئنـان لـيس بالضّرورة أن يقترن بالدّنوّ، فربّ مطمئنّ إلى حبيب لا يستطيع وصاله ولا يطيق قربه! وكذلكم الـدّاني المقترب، ليس واجبا أن يطمئنّ إلى المدنوّ منه، فكم دانيا اضطر إلى ما أقدم عليه، وكم حياة بُنيت على الإكراه! غير أنّ بشّارا يريد لها أن تكون بجواره دانية منه محبّة مطمئنّـة إليـه، لا أن تـدنو مُجبَـرة كارهة! وكذلكم غير راغب في أن تطمئنّ على بُعد، بل يريدها قريبة من العين كما هي من القلب.

فلجأ إلى التّضمين لإبراز هذين المعنيين، اللّذين ما كانا ليظهرا معا لولا تضمين الفعـل (دنـا) الفعـل (اطمأنّ).

تمنّـــى هـــوى "سُـــعْدى" مُشـــيدا لحُبِّهـــا كـــأنْ لا تَـــرى أنَّ المَفـــارِقَ شِـــيبُ

(بن برد، 2007، صفحة 214) (بحر الطّويل)

يتعدّى الفعل (أشاد) بحرف الجرّ (الباء) غير أنّه جاء متعدّيا بحرف (اللّام)، لتضمّنه معنى الفعل (أسلم).

نظم بشّار البيت السّابق ضمن قصيدة يعبّر فيها عن شدّة حبّه سعدى، الّتي ذهبت بقلبه وتركتـــه حزينـــا يشكو حاله لصدودها ونأيها، مستذكرا ما كان بينهما من جمال الحبّ وطيب الوصال!

وبشّار، مع ما مرّ به من هزل وذبول، ما زال معلّقا قلبه بها، مسلما لحبّها، خاضعا لهواها، تتصرّف به أنّى شاءت، مشيدا بذلكم الحبّ أمام النّاس جميعا، غير آبه بحاله الّذي جعل مَن حولـــه يُقبلـــون عليـــه ناصحين موجّهين، إذ يرون ما يفعله جهلا غير نافع ولا مُجدٍ، فالأوْلى به تركه، فيقـــول معبّـــرا عـــن إرشادهم وتجاهله:

إِذَا النَّاصِـــحُ الْـــأَدْنَى دَعَـــاكَ بِصَـــوْتِهِ دَعِ الْجَهْـــلَ" لَـــمْ تَسْـــمَعْ وَأَنْـــتَ كَئِيـــبُ"

وهذا الحال اللّافت، الّذي أتى بالنّاصحين، ما كان ليكون لولا الإسلام التّامّ للحبّ، وعـــدم القـــدرة علـــى ضبط بوصلة قلبه، وهو مقرّ معترف بذلكم، فيقول:

يَقُولُـــونَ: لَـــوْ عَزَّيْـــتَ قَلْبَـــكَ لارْعَـــوَى فَقُلْـــتُ: وَهَـــلْ لِلْعَاشِـــقِينَ قُلُـــوبُ!
يَعُـــذِّونَ لِـــي قَلْبًـــا وَلَسْـــتُ بِمُنْكِـــرٍ هَوَانًـــا وَلَـــا يَرْضَـــى الْهَـــوَانَ أَرِيـــبُ
أَقُـــولُ لِقَلْـــبٍ لَـــيْسَ لِـــي غَيْـــرُ أَنَّـــهُ لِمَـــا شِـــئْتُ مِـــن شَـــوْقٍ إِلَـــيَّ جَلُـــوبُ
أَلَـــا أَيُّهَـــا الْقَلْـــبُ الَّـــذِي أَدْبَـــرَتْ بِـــهِ سُـــعَادُ بَنِـــي بَكْـــرٍ أَلَسْـــتَ تُنِيـــبُ!

إذن الشّاعر معترف بما آل إليه أمره، شاكٍ عصيان قلبه له، وتمرّده عليه، راج أن يعـــود إليـــه بعـــدما سلبته إيّاه سعدى. وليُبين عن هذا الإسلام الّذي قاده إلى أن يكون علما بين النّاس بوهنه ومرضه، جـــاء بلفظ واحد يحمل معنيين، من خلال تعدّي الفعل (أشاد) بحرف الجرّ (اللّام)، وتضمّنه معنى الفعل أســـلم. فهو بهذا التّضمين قادر على أن يقول للقرّاء إنّ الإشادة بالحبّ وحاله الصّعب، لم يكـــن قـــرارا يمكنـــه التّراجع عنه، بل هو نتاج إسلام تامّ له!

أَرِقْــتُ إلـــى بطْـــنِ الخَـــرِينِ ورَغْبَتِـــي إلـــى مَلِـــكٍ يجلـــو الـــدّجى حـــينَ يخـــرُجُ

(بن برد، 2007، صفحة 63) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (أرق) في الاستعمال اللّغويّ لازما، إلّا أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (إلى)، وذلكـــم عائد إلى تضمّنه معنى الفعل (اشتاق).

جاء بشّار بذا البيت في قصيدة يمدح فيها الخليفة المهديّ، ويذكر ذهابه إليه، راغبا في كرمه الّذي بـــان على صفحة وجهه، إذ يقول:

مِـــنَ الصِّـــيْدِ مَكْتُـــوبٌ عَلَـــى حُـــرِّ وَجْهِـــهِ جَـــــوَادُ قُـــــرَيْشٍ هَاشِـــــمِيٌّ مُتَـــــوَّجُ

وليس أحبّ للإنسان مِن موطن يقطنه أهله، فضرورة يفضّل البقاء بين ظهرانيهم، اللّهمّ إلّا إن وجد مَـــن يغنيه عنهم، أو مَن يفضّله عليهم، وليس ذلكم بغريب، فربّما كان له من أهله عدوّا لـــه، فحـــذره! أمّـــا الغريب، أن يكون محبّا لأهله، دائم الأرق شوقا إليهم، ومع ذلكم ما زال مختارا البعد عـــنهم؛ تفضـــيلا لأحد. فإن وصل الواحد إلى حالة كتلكم، لا بدّ أن يُعلَم أنّ المفضَّل ليس عاديّا، بل قد بلغ أعلى درجـــات الكرم والأصالة، ما أهّله ليكون مصطفى، عند أحدهم، على أهله!

وهذا المعنى الّذي أراد الشّاعر أن يدركه المهديّ، فبشّار قد آثر المكوث في كنفه، وفي ظلّ حكمه، على أن يعود إلى أهله، في بطن الخرين، ويطمئنّ قلبه بوجودهم، وتقرّ عينه برؤيته! فلـــذلكم وظّـــف فعـــل (أرق) متعدّيا بحرف الجرّ (إلى) ليعبّر عن الوفاء والتّبجيل للملك، الّذي تنزاح الهموم ويتبـــدّد الظّـــلام بقدومه!

فما كان لهذه الصّورة أن تتمثّل نابضة بالحبّ، لولا ما جاء به الشّاعر من تضمين، فالتّعبير بلفظ الأرق وحده ليس كافيا ليبين عن الصّورة، فقد يأرق الإنسان لمرض أو غيره، ولفظ الشّوق ليس مغنيا المعنـــى بما هو مطلوب، لكنّه الشّوق المصحوب بالأرق، فصار واضحا تخصيص المهديّ بمزيد إخلاص!

قَـــدْ مَـــاتَ غَمًّـــا وَشَـــفَّهُ كَمَـــدٌ عَلَيْـــكِ فَـــارْثِي لَـــهُ مِـــنَ الْكَمَـــدِ

(ابن برد، 2007، صفحة 67) (بحر السّريع)

الأصل أن يأتي الفعل (كمد) لازما، غير أنّه جاء في البيت متعدّيا بحرف الجرّ (على)؛ لتضمّنه معنـى الفعل (بكى).

نظم الشّاعر قصيدة نسيب في "صفراء"، وكانت فتاة أحبّها شديدا، ثمّ نأت عنه، فأصابه من الهمّ والغـمّ والكمد ما جعله ينظم هذه القصيدة، وقد قال في بيت سابق:

فَبِـــتُّ أَبْكِـــي مِـــنْ حُـــبِّ جَارِيَـــةٍ لَـــمْ تَجْزِنِـــي نَـــائِلا وَلَـــمْ تَكَـــدِ

فالشّاعر مهّد قبلا أنّه يبيت باكيا مشتاقا إلى لقاء يجمعهما، غير أنّها بخيلة لا تكرمه في ذلكم، إذ يقول:

طَابَـــتْ لَنَـــا مَجْلِسًـــا عَلَـــى عَجَـــلٍ ثُـــمّ انْقَضَـــى يومُنَـــا فَلَـــمْ يَعُـــدِ

تَزِيـــــــدُه فِتْنَـــــــةً وتُطمِعُـــــــهُ بِوَعْـــدِها فِـــي غَـــدٍ وَبَعْـــدَ غَـــدِ

كأنَّهَـا تَبْـــتَـــغِـــي إِســـاءَتَـــهُ بِـــالْقُرْبِ مِـــنْ فِعْلِهَـــا وبِالبُعُـــدِ

ثمّ يأتي الشّاعر على ذكر صفاتها الخَلقيّة، الّتي جعلته راغبا في رؤيتها دوما، باكيا على فراقهـا أبـدا، وقد عُلم من أمر الحبّ ما يعجب له المرء الّذي لم يكابد مرارته، وفي ذلكم قـال المتنبّـي: (المتنبـي، 2014، صفحة 806)

عَـــذَلْتُ أَهْـــلَ الْعِشْـــقِ حَتَّـــى ذُقْتُـــهُ فَعَجِبْـــتُ كَيْـــفَ يَمُـــوتُ مَـــنْ لَـــا يَعْشَـــقُ!

وبشّار في البيت الأوّل، مثال صريح لما يصيب العشّاق، فهو لفراق محبوبته يعيش مهموما دائمَ البكاء، حتّى أصابه الكمد في ذلكم! والكمد كما عرّفه الجوهريّ: "الحزن المكتوم" (الجوهري، 1987، صـفحة 531)، وفي تعريف ابن سيده: "تغير اللّوْن وَذَهَاب صفائه" (ابن سيده، 2000، صفحة 763).

ولِكوْنِ بشّار مريدا إظهارَ هذه الحالة الّتي يُرثى لها، ضمّن الكمد معنى البكاء، فليس كلُّ ذي بكاء كَمِدًا، ولا العكس. وبذا التّضمين يبرز معنى الكمد والوهن بدقّة، ويعزّز حالة البكاء المستمرّ المـورِث كـدر وجهه وتغيّر لونه.

صَحَا الْقَلْبُ عَـنْ سَـلْمَى وَشَـابَ المُعَـذَرُ وَأَقْصَـرْتُ إِلّـا بَعْـضَ مَـا أَتَـذَكّرُ

(بن برد، 2007، صفحة 259) (بحر الطّويل)

أصل الفعل (صحا) اللّزوم، إلّا أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (عن)؛ لتضمّنه معنى الفعل (حاد).

وقد جاء البيت السّابق قبل إظهاره ترك سلمى إكراما للخليفة المهديّ ونزولا على أمره، فيقول بعده:

وَمَـا نِلْتُهَـا حَتَّـى تَوَلّـتْ شَـبِيبَتِي وَحَتّـى نَهَـانِي الْهَاشِـمِيُّ الْمُغَـرّرُ

فَـإِنْ كُنْـتُ قَـدْ وَدّعْـتُ عَمَّـارَ شَاخِصًـا وَبَصّـرَنِي رُشْـدِي الْإِمَـامُ الْمُبَصِّـرُ

أَقُـولُ وَقَـدْ أَبْـدَيْتُ لِلّهْـوِ صِـحَّتِي أَلَـا رُبَّمَـا أَلْهُـو وَعِرْضِـي مُـوَفَّرُ

وهو في الأبيات يريد أن يظهر حالة الانسجام التّامّ مع الهوى عامّة، سواء في حبّه سلمى أو غيرها، فعمّار، مرخّما، واحدة من محبوباته أيضا. فهو مُغرَم لاهٍ لا سطوة له على قلبه، حتّى صار لأجل ذلكم الهوى غافلا هائما، إلى أن نهاه الهاشميّ وأعاد له رشده، فصحا حائدا عن اللّهو كلّه، وقد كان باذلا له صحّته.

ولو جاء بشّار بأحد الفعلين على أصلهما، ما كان ليكشف للقارئ عن حالة الانغماس في اللّهو والهوى، وعن تأثّره بتبصير المهديّ له وإرشاده إلى ترك تلكم الحالة من الغفلة، وما كان ليتبيّن انقياده إلى أمر الخليفة واستجابته أمره بالحيد عن الحبّ المُلهي، والهوى المُغفِل.

ولا يشترك اللّفظان في دلالة واحدة، فقد يصحو الإنسان من غفلته ويدرك جهله فيما يصدر منه، غير أنّه لا يحيد عن الخطأ، بل يصرّ عليه، فمن ذلكم ما قاله الله –تعالى– في حقّ الكفّار، إذ يقول –سبحانه–: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النّمل: 14]. فهؤلاء المشركون عرفوا يقينا خطأ دينهم وآمنوا بالقرآن الكريم حقّا من عند الله –عزّ وجلّ–، غير أنّهم رفضوا اتّباع حسن السّبيل. وبهذا، يكون بشّار أوصل الفكرة من خلال ظاهرة تحمل المعنيين، وتؤدّي الفكرتين، فكرة اليقظة

والصّحو، وفكرة التّراجع بتقدير حال الحيد عن اللّهو، وهي ظاهرة التّضمين، ليكون تقدير الكلام: صحا القلب حائدا عن سلمى.

ومَــا أنْــسَ مِمَّــا أَحْــدَثَ الــدّهْرُ لِلْفَتَــى وأيّامُــــه اللّــــاتِي عَلَيْــــهِ تنُــــوبُ

(بن برد، 2007، صفحة 207) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (ناب) في الاستعمال اللّغويّ متعدّيا بنفسه، غير أنّه جاء في البيت متعــدّيا بحــرف الجــرّ (على)؛ لتضمّنه معنى الفعل (تكالب).

جاء البيت ضمن قصيدة يرجو بشّار فيها رؤية محبوبته عبدة بعدما غادرت وزوجها إلى عمان، ويبــيّن تردّي حاله لبُعدها، إذ يقول:

لَقَــدْ شَــغَلَتْ قَلْبِــي "عُبيــدةُ" فِــي الْهَــوَى فَلَــيْسَ لِــأُخْرَى فِــي الْفُــؤادِ نَصِــيبُ

أَلا تَــــتَّقِينَ اللهَ فِــي قَــــتْلِ عَاشِــــق لَــــهُ حِــينَ يُمْسِــي زَفْــرَةٌ ونَحِيــبُ

لكن، قد يظنّ ظانّ أنّ المُحبّ كسائر البشر، إن نابته نازلة، أو أصابته مصيبة، لم يبق لهمِّ الحبّ متّسع، ولم يظلّ للوجد حيّز، فالغالب أنّ تلكم النّازلة مسيطرة على العقل والفؤاد معا، آخــذةٌ باللّــب والقلــب! والظّنّ غير مُنكَر؛ لأنّه الحاصل طبيعةً!

إلّا أنّ بشّارا، وقد أراد أن يُبرز ما استطاع من شوقه، ومن هيمنة عبدة على فــؤاده، جــاء بالتّضــمين ليقول إنّ المصائب لا تتساوى واشتياقه لها، بل لو جاءت تلكم الحوادث متكالبةً عليه قــد يَكتــب لهــا النّسيان، غير أنّه لا ينسى مشرب رضابها!

فمجيئه بالتّضمين أتاح له إظهار تلكم البلاغة في التّعبير عن حالة الشّغف والهيام. فيقول إنّه قد وصــل إلى حالة من الحبّ تمكّنه من نسيان كلّ نازلة، وإهمال تكالبها عليه، وحبّه باق لا يزول ولا يُنسى!

جَــرَتِ الــدّموعُ وقُلْــن: فيــكَ جَــلادةٌ عنّــــا ونكْــــرَهُ أنْ نــــراكَ جَليــــدا

(ابن برد، 2007، صفحة 231) (بحر الكامل)

يأتي الفعل (جلد) في اللّغة لازما، غير أنّه تعدّى بحرف الجرّ (عن)؛ لتضمّنه معنى الفعل (تصبّر).

والبيت واحد من قصيدة يمدح فيها قتيبة بن مسلم الباهلي، غير أنّه جرى على عادة الجاهليّين، وبــدأها بمقدّمة غزليّة. وفيها أبرز حبّ النّساء له، ودعوتهنّ إيّاه ليأتيهنّ في مجالسهنّ، وسؤالهنّ "طُرَف الحديثِ فُكاهةً ونشيدا". وقد كان طلبهنّ بعد غياب الوشاة الّذين تربَصوا به ومنعت مراقبتُهم إيّاه وصوله إليهنّ.

ولم يكن من بشّار إلّا استجاب لهنّ، فأتاهنّ متيحا لهنّ أن يقترحن ما شئن من الهوى. لكن سرعان مــا أفل القمر، وسطع نور الصّباح، ما يعني عودة الوشاة، وضرورة رحيله! فغادرهنّ باكياتٍ لرغبتهنّ في قربه؛ وهو الّذي منحهنّ ما يسعدهنّ من الغزل ولباقة الكلام!

أمّا هو، فلم يزل صلبا جليدا، لم يذرف دمعا ولم يُبِن ضعفا، وكأنّه يعكس حالة من النّرجسيّة تُذكّر بمــا كان عليه عمر بن أبي ربيعة؛ إذ كان مطلوبا لا طالبا! ورغبةً في توكيد هذه الحالة، لجأ إلى التّضمين، ليجمع معنيين في لفظ. فالمعروف أنّه ما من تلازم بين الجلادة والصّبر، فالجلَد، أو الجــلادة: "الجَلَــد: الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ... والجَلَدُ: الصَّلَابَةُ والجَلادة" (ابن منظور، 1414هــ، صفحة 125) وبهذا ليس كلّ صلب صابرا، ولا كلّ صابر صلبا! لكنّه أراد لهذين المعنيين أن يظهرا معا، فاتّجه إلى التّضمين ليزيــد فــي بلاغة الوصف.

رَزِيــــنُ حَصَـــــاةِ العِلْـــــمِ لا يَسْـــــتَخِفُّهُ أَحَادِيـــــثُ يَسْـــــتَوْعي عَلَيْهـــــا المُعيّـــــبُ

(بن برد، 2007، صفحة 320) (بحر الطّويل)

يأتي الفعل (استوعى) متعدّيا بنفسه، غير أنّه جاء متعدّيا في بيت بشّار بحرف الجــرّ (علــى)؛ وذلكــم لتضمّنه معنى الفعل (وطّن).

والبيت من قصيدة مديح سليمان بن هشام بن عبد الملك، وفيه يتجلّى شرف الممــدوح ورفعــة قــدره، وسلامة اهتماماته، وتنزّهها عن كلّ عيب. فهو رزين حصيف، سويّ العقل معافى الأفكار.

ويسهب في لاحق الأبيات في صفاته، مُصبّا تركيزه على شجاعته وبسالته، ما جعله مُطاعا في قومه، متبوعا من رجالهم، فيقول:

إِذَا الحَرْبُ قَامَتْ قَامَ حَتّى يُفيدَها قُعُودًا وحُثحوثُ الكَتيبةِ مُطْنَبُ

وما كان لهذه الشّجاعة أن تكون، ولا لهذا الإقدام أن يتمّ، لولا ما تقدّم وصفه من الرّزانة والعلم، وملاحة العقل. فالمرء نتاج أفكاره، وقيمته بأحاديث قلبه، وبشّار أدرك هذه المعاني، فبدأ بها مقدّما لشدّة بأسه.

وطبيعيّ أنّ للبشريّ سفاهة قد يستوعبها أو يوطّن نفسه عليها مهزوما لحظة ما، مصداقا لقول عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "ليس من أحد إلّا وفيه حمقة فيها يعيش" (الجوزي، 1990، صفحة 26)، وليس ذلكم تحقيرا، بل نزولا على الطّبيعة البشريّة. غير أنّ بشّارا أراد للممدوح أن يصل درجة عليا، فجرّده ممّا قد يصيب البشر في لحظات ضعف، من خواطر أو أحاديث أو أفعال، فجعله مترفّعا عمّا ينقص قدره.

ولإيصال هذا الوصف جميلا مليئا بالمعاني، لجأ بشّار إلى التّضمين، ليقول إنّ الممدوح لا يستوعي أحاديث السّخافة، ولا يستوعبها فضلا عن أن يوطّن نفسه عليها! فالمرء قد يعتاد شيئا سيّئا ويوطّن نفسه عليه وهو مقتنع بكراهيته، وقد يستوعب شيئا قبيحا ويتقبّله دون أن يفعله، أمّا سليمان، فكان رافضا لأيٍّ منهما، فهو لا يستوعي أحاديث المعيّبين، موطّنا نفسه عليها.

إِنَّ الَّذِي أَنْعَمَتْ خِلافَتُهُ بِالنّاسِ حَتّى تَنازَعُوا سَبَبا

(بن برد، 2007، صفحة 346) (بحر المنسرح)

يأتي الفعل (أنعم) متعدّيا بنفسه، أو بحرف الجرّ (على)، غير أنّه جاء في بيت بشّار متعدّيا بحرف الجرّ (الباء)؛ وذلكم لتضمّنه معنى الفعل (رأف).

والبيت من قصيدة يمدح فيها الخليفة المهديّ، في سنته الثّانية من الخلافة، وقد سبقه كثيرُ مديحٍ، وتبعه كذلكم. فالشّاعر أتى على أخلاقه تباعا، فالكرم، والبِشر، ثمّ الوفاء والإنعام على الخلق والرّأفة بأحوالهم، فالنّسب الرّفيع، والأدب العفيف...

كلّ ذلكم كان يجده السّاعي إليه، وما رأى أحد منه تأفّفا أو ضجرا. ففي البيت حصيلة الكرم الّذي كان قد قدّم له في الأبيات السّابقة، ليقول إنّه منعم على النّاس بفضائله وطيب عطائه، بل لم يكن منعما حسب، لكنّه الرّؤوف بهم وبأحوالهم.

فالمرء يدرك جيّدا، أنّه لا يوقّر ولا يجلّ كلّ مُنعِم أو متفضّل على النّاس، بل ربّما يكون اللّائق به غير ذلكم؛ فكثير ممّن كان في تلكم الحالة، حالة الإنعام، أُصيب بداء الكبر، فحينها لا توقير ولا مديح. وقد كان لهذه الحالة إثبات في القرآن الكريم، إذ يقول الله –تبارك وتعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾[البقرة: 262–263]. فالله –سبحانه– يثني على المؤمنين الّذين ينفقون أموالهم رأفة بالنّاس دون منٍّ أو غطرسة. وأكّد –عزّ وجلّ– على كراهية الإنفاق المتبوع بالأذى، وفضّل الإمساك والقول الحسن عليه! إذن، هناك مَن يُنعم على النّاس وهو ظالم لهم، ولولا وجود هذه الظّاهرة ما كان الله –تعالى– ليشير إليها!

أمّا الممدوح، المهديّ، فكان ممّن يُثنى عليه لإنفاقه المقرون بالرّأفة والرّحمة. ورأى بشّار حُسْن هذا المديح، ولباقته، فجعله لفظا واحدا، يتضمّن المعنيين، من خلال ظاهرة التّضمين، المتمثّلة بتعدّي الفعل (أنعم) بحرف جرّ يليق بالفعل (رأف).

الخاتمة

قدّمت الباحثة في هذه الرّسالة، الفصل الأوّل، عرضا موجزا عن التّضمين وامتداده في التّراث العربيّ، كما تعرّضت إلى قضيّة التّضمين النّحويّ بين القضايا النّحويّة الأخرى، الّتي ظهرت معه مبرّرة حالة خروج الفرع عن الأصل، في قضيّة اللّزوم والتّعدّي. وتناولت في الفصل الثّاني منها، تطبيقا لظاهرة التّضمين النّحويّ في شعر بشّار بن برد، ثمّ جاءت في الفصل الأخير على الفائدة الأبرز للتّضمين، وهي البلاغة الّتي يضيفها، فأبانت عن مواطنها في شواهد مختارة من ديوان بشّار بن برد.

وهذه أهمّ النّتائج الّتي خلصت إليها:

1. ظهر مصطلح التّضمين في علوم العربيّة، البلاغة والعروض والنّحو، وكان له مفهوم خاصّ في كلّ علم منها.
2. لجأ العلماء إلى التّضمين النّحويّ لتعليل التّغيّر الحاصل على الفعل، أو ما في معناه، من حيث اللّزوم والتّعدّي. كما ظهر إلى جانبه قضايا أخرى نازعته في التّعليل، وكان لأصحابها حجّة فيما ذهبوا إليه. غير أنّ التّضمين النّحويّ أقوى من حيث البلاغة العربيّة الّتي ترفض التّفسير الجامد للقضايا، بل تسعى إلى إضفاء لمسة جماليّة كلّما أُتيح لها. ومن هنا يظهر التّشابك بين التّضمينين، النّحويّ والبيانيّ.
3. شكّل التّضمين النّحويّ ظاهرة في شعر بشّار بن برد، ولم يكن مجرّد شذرات بسيطة لا تُدرَس.
4. لم يأتِ بشّار بن برد بالتّضمين النّحويّ عبثا، إنّما جاء خادما لمعاني أراد بيانها وتفصيلها، من غير كثير كلام.
5. أجاد بشّار الفارسيّ العربيّة حتى غدا واحدا من أبنائها، فهو عاشر أهلها ولازم معانيها صغيرا حتّى شاب في أكنافها، وكان توظيفه التّضمينَ النّحوي، الّذي خُصَّت به العربيّة، خير إثبات لقدرته وفصاحته. والحمد لله ربّ العالمين.

المراجع العلمية

القرآن الكريم.

الإستراباذي، نجم الدّين محمد بن الحسن الرّضي. (1398هـ). *شرح الرضي على الكافية*.

إسحاق، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري. (بلا تاريخ). *زهر الآداب وثمر الألباب*. بيروت: دار الجيل.

الأصفهاني، أبو الفرج. (بلا تاريخ). *الأغاني*. بيروت: دار الفكر.

الأفغاني، سعيد بن محمّد بن أحمد. (1978). *من تاريخ النّحو العربي*. مكتبة الفلاح.

الألباني، ناصر الدين. (2002). *صحيح سنن أبي داود* (المجلد ط1). الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. (بلا تاريخ). *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*. (أحمد صقر، المحرر) دار المعارف.

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد. (1971). *الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلّة في أصول النّحو* (المجلد ط2). (سعيد الأفغاني، المحرر) بيروت: دار الفكر.

البحتري. (بلا تاريخ). *ديوان البحتري* (المجلد ط3). (حسن كامل الصيرفي، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1997). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب* (المجلد ط1). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

البغوي، أبو محمّد الحسين. (1997). *معالم التّنزيل في تفسير القرآن*. دار طيبة للنشر والتوزيع.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. (بلا تاريخ). *الكلّيّات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

بن أبي ربيعة، عمر. (1996). *ديوان عمر بن أبي ربيعة* (المجلد ط2). (فايز محمد، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

بن العبد، طرفة. (1994). *ديوان طرفة بن العبد*. (سعدي الضناوي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

بن برد، بشار. (2007). *ديوان بشار بن برد*. الجزائر: عاصمة الثقافة العربية.

بن ثابت، حسان. (1994). *ديوان حسان بن ثابت* (المجلد ط2). (عبدأ مهنا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

بن زيد، عدي. (بلا تاريخ). *عدي بن زيد*. (محمد جبار المعيبد، المحرر) بغداد: شركة دار الجمهوريّة للنّشر والطّبع.

بن عاشور، محمد الطاهر. (1984ه). *التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر.

أبو تمام. (1992). *شرح ديوان أبي تمام* (المجلد ط2). (شاهين عطية، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

التنوخي، أبو يعلى عبد الباقي بن المحسّن. (1970). *القوافي*. (عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان، المحرر) بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (بلا تاريخ). *الإعجاز والإيجاز*. القاهرة: مكتبة القرآن.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. (1423). *البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن جرير. (1986). *ديوان جرير*. (كرم البستاني، المحرر) بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

جرير، أبو جعفر محمّد الطبري. (2001). *تفسير الطّبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. القاهرة – مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (بلا تاريخ). *الخصائص* (المجلد ط4). (محمّد علي النّجّار، المحرر) الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

ابن الجوزي. (1990). *أخبار الحمقى والمغفّلين* (المجلد ط1). (عبد الأمير مهنا، المحرر) دار الفكر اللبناني.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1987). *الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (المجلد ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

الحاجري، طه. (بلا تاريخ). *نوابغ الفكر العربي بشّار بن برد*. القاهرة: دار المعارف.

حامد، أحمد حسن. (بلا تاريخ). *دراسات في أسرار اللّغة*. نابلس: مكتبة النجاح الحديثة.

حامد، أحمد. (2001). *التضمين في العربية (بحث في البلاغة والنحو)*. الدار العربية للعلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع.

حسن، عباس. (بلا تاريخ). *النحو الوافي*. دار المعارف.

الحمداني، أبو فراس. (1994). *ديوان أبي فراس الحمداني* (المجلد ط2). (خليل الدويهي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

الحموي، ابن حجّة تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. (2004). *خزانة الأدب وغاية الأرب*. (عصام شقيو، المحرر) بيروت: دار ومكتبة الهلال، دار البحار.

ابن حنبل، أحمد. (2001). *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (المجلد ط1). مؤسسة الرسالة.

الخنساء. (2004). *ديوان الخنساء*. (حمدو طماس، المحرر) بيروت – لبنان: دار المعرفة.

الرماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله. (1976). *النّكت في إعجاز القرآن*. مصر: دار المعارف.

ابن الرومي. (2002). *ديوان ابن الرومي* (المجلد ط3). (أحمد حسن بسج، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. (2001). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي. (1981). *الأمالي* (المجلد ط2). بيروت: دار الجيل.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1998). *أساس البلاغة*. بيروت – لبنان: درا الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. (1987). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (مصطفى حسين أحمد، المحرر) القاهرة: دار الريان للتراث.

ابن زيدون. (1994). *ديوان ابن زيدون* (المجلد ط2). (يوسف فرحات، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم* (المجلد ط1). (عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين. (1985). *الأشباه والنّظائر في النّحو* (المجلد ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

السيوطي، جلال الدين. (1998). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين. (2006). *الاقتراح في أصول النّحو* (المجلد ط2). (عبد الحكيم عطية، المحرر) دار البيروتي.

شراب، محمد بن محمد حسن. (2007). *شرح الشّواهد الشّعريّة في أمّات الكتب النّحويّة*. (ط1، المحرر) بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة.

الشريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي. (2006). *شرح مقامات الحريري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الصبّان. (بلا تاريخ). *حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك*. (طه عبد الرؤوف سعد، المحرر) المكتبة التوفيقية.

ضيف، شوقي. (بلا تاريخ). *تيسيرات لغوية*. القاهرة: دار المعارف.

عزّة، كثيّر. (1971). *ديوان كثيّر عزّة*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت – لبنان: دار الثقافة.

عواد، محمد حسن. (1982). *تناوب حروف الجرّ في القرآن* (المجلد ط1). عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. (1979). *مقاييس اللغة*. دار الفكر.

أبو الفتح، عثمان الموصلي ابن جني. (بلا تاريخ). *اللّمع في العربيّة*. الكويت: دار الكتب الثقافية.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (بلا تاريخ). معجم *العين*. دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (2005). *القاموس المحيط*. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1423 هـ). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث.

القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. دار الجيل.

ابن القيم، محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد. (بلا تاريخ). *بدائع الفوائد*. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي.

اللبدي، محمّد سمير نجيب. (1985). معجم *المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة*. مؤسسة الرسالة – بيروت، دار الفرقان – عمان.

مباركة، مأمون تيسير. (2011). *التّضمين النّحويّ عند شعراء النّقائض (رسالة دكتوراه)*. دمشق: جامعة دمشق.

المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد. (1994). *المقتضب*. القاهرة: وزارة الأوقاف.

المتنبي. (2014). *ديوان المتنبي*. (عبد الرحمن البرقوقي، المحرر) مؤسسة هنداوي.

المرادي، أبو محمّد بدر الدّين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ. (1992). *الجنى الدّاني في حروف المعاني*. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

المرتضى، الشريف. (1997). *ديوان الشريف المرتضى*. (محمد ألتونجي، المحرر) بيروت: دار الجيل.

المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى. (1995). *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء*. دار الكتب العلمية.

ابن المعتز. (بلا تاريخ). *ديوان ابن المعتز*. (كرم البستاني، المحرر) بيروت: دار صادر.

المعتز، عبد الله بن محمّد العبّاسي. (بلا تاريخ). *طبقات الشعراء* (المجلد 3). القاهرة: دار المعارف.

المعرّي، أبو العلاء. (1983). *لزوم ما لا يلزم اللّزوميّات*. بيروت: دار بيروت للطّباعة والنّشر.

المعري، أبو العلاء. (449ه). *سقط الزند*. بيروت: منشورات مكتبة العلاء

ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ). *لسان العرب* (المجلد 3). بيروت: دار صادر.

ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدّين محمّد ابن الإمام جمال الدين محمد. (2000). *شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن مالك* (المجلد ط1). (محمد باسل عيون السود، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن هشام، جمال الدّين أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن أحمد. (1985). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. دمشق: دار الفكر.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

SYNTACTIC IMPLICATION IN BASHAR IBN BURD'S POETRY

By
Manar Nayef Mustafa Belbeisi

Supervisor
Dr. Mamoun Mubaraka

This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and Litrerature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2024

SYNTACTIC IMPLICATION IN BASHAR IBN BURD'S POETRY

By
Manar Nayef Mustafa Belbeisi
Supervisor
Dr. Mamoun Mubaraka

Abstract

This study examines the phenomenon of grammatical inclusion. The research analysis Bashar bin Burd's poems in which grammatical inclusion occurred, explaining the verse origin that it should have been, and the branch to which it led by referring to the entire poem .

The study consists of an introduction and 3 chapters. In the introduction, the researcher explained the reason behind choosing the topic of the study; and raised some questions which were answered in the following chapters; besides mentioning the previous studies that benefited from them .

It is also introduced Bashar bin Burd, indicating his lineage, his life, his poetic strength according to critics, and his death.

The first chapter defines the inclusion in general, and grammatical inclusion in particular and compares it to other similar grammatical issues.

The second chapter mentiones the types of grammatical inclusion, in verbs or their meanings, in Bashar bin Burd collection.

The last chapter deals with the rhetorical aim of inclusion. The researcher selected some poetic examples, which were previously explained in the previous chapter, and clarified the rhetoric of inclusion that occurs in them then concluded with the most important results of this study.

Keywords: grammatical inclusion; poetry; Bashar ibn Burd.